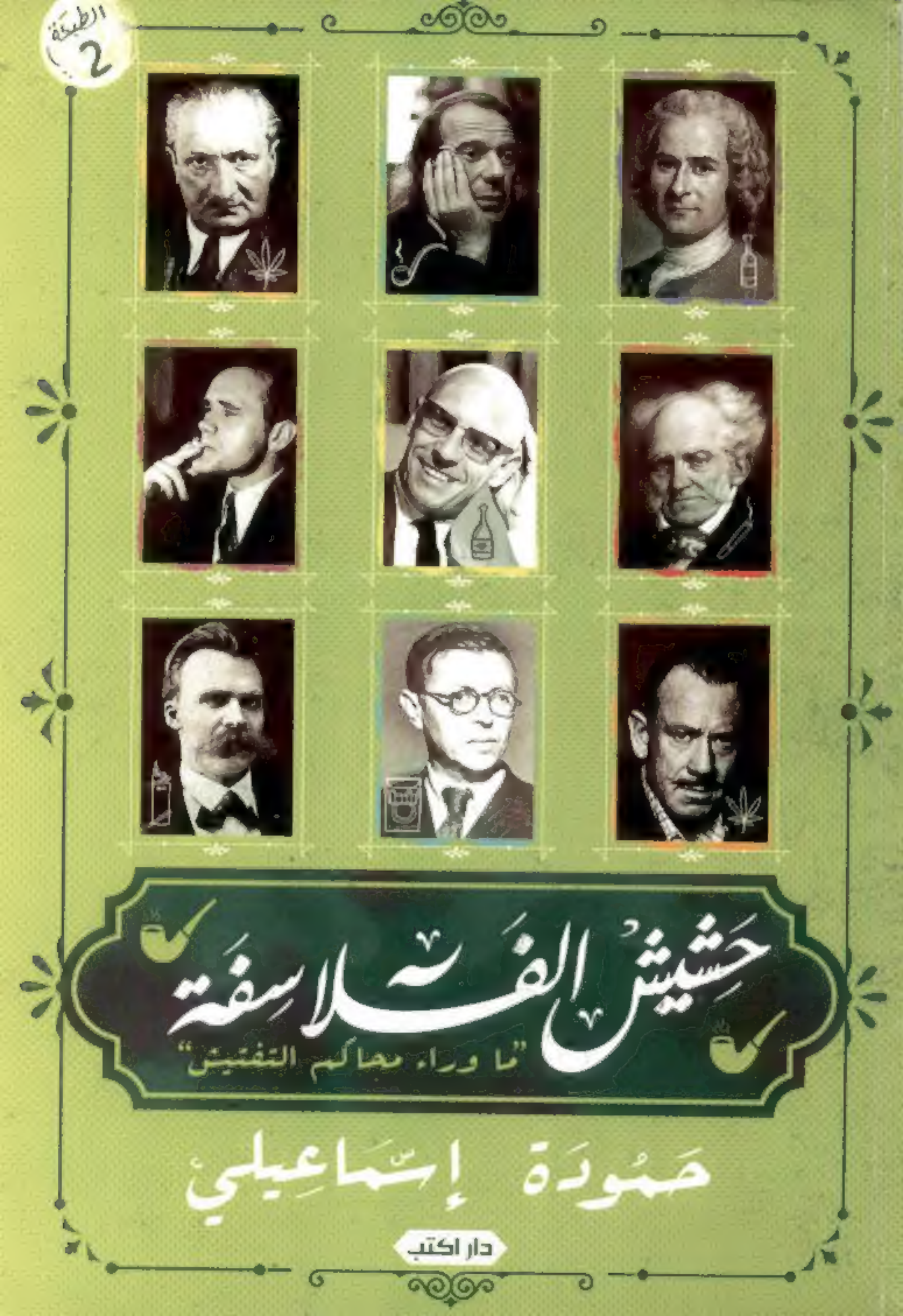

الطبعة 2
حشيش الفلاسفة
"ما وراء محاكم التفتيش"
حمودة إسماعيلي
دار اكتب

حشيش الفلاسفة

خشيش الفلاسفة

ما وراء محاكم التفتيش

حمودة إسماعيلي

الطبعة الثانية ، القاهرة 2017م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد المصري

رقم الإيداع : 2874 /2015

I.S.B.N: 978-977-488-355-2



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01144552557 – 01147633268

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

حشيش الفلاسفة

ما وراء محاكم التفتيش

حمودة إسماعيلي



دار اكتب للنشر والتوزيع

أليستِ الحُرِيَّةُ هي أن نعيشَ كما نوَدُّ، لا أكثَرَ...؟

أبيكتيتوس

- كي لا نتوارثَ الكُره

- ملحق بـ: الدماغ البشري لا يعرف رجلًا أو امرأة

- تعريفات

تمهيد

كما في الأفلام والدراما التلفزيونية، تُدسُّ المُخدّرات لشخص معيّنٍ لجرّه نحو المشكلات، والزّجِّ به في السجن، ورَمْيه بتُهمةٍ تشوّهُ سمعتَه، وكلُّها تخدم غرض إبعادِه عن ساحة الخَصمِ وإزاحته عن طريق مُخطَّطه. فدسُّ الحشيش هنا كافٍ لتحويل شخصٍ عاديٍّ ومُحترَمٍ لمتهمٍ سيِّئِ السُّمعة، هكذا بسرعةٍ وببساطةٍ كما عوّدتنا شاشاتُ السينما والتلفاز.

وحتى على مستوى الواقع، تُتناقل هنا وهناك قصصٌ عن قُدرةِ الأجهزة الأمنية – بصيغتِها الفاسدة – تحويل التُّهم البسيطة للأفراد، لتهُمٍ كبيرةٍ؛ انطلاقًا من ضَمِّ المخدرات وحُبوب الهلوسةِ بملَف المُتّهمِ المَعْنيِّ حتى لو كان هذا الأخير لا يعرف شَكْلَها، وذلك في إطار المتاجرة بالتُّهم وتصفية الحسابات بين المتنافسينَ. ويستمرُّ تسلسُل هذه القصص حتى نَصِلَ إلى الشبابِّ الذي يُتَّهَمُ ظُلمًا بحيازته الحشيشَ، انطلاقًا من وجودِه بالزمان والمكان غير المناسبين خلال مُداهمة بُوليسية، ما يشير إلى أن أحدًا ما قد ألقى بالمَمنُوعات بجيب الآخر أثناء الفرار، وكأنّ المُتّهمَ المَعْنِيَّ كان ساعتها بحالةِ شطحٍ صوفيةٍ خارج الحواس!

ما يتعلّق بهذا الكتاب "حشيش الفلاسفة" هو أن صورته العامّة لا تخرج عن هذا المنطلق. كيف؟ فحينما يتعمّد الناقد في ادعائه بنقد مفاهيم فلسفية لمفكّر ما، أو استعراض جوانب من حياة هذا المفكر، أو حتى تحليل شخصيته، هادفًا إلى تشويه سمعته عبر التركيز على جوانبَ مُعينة لا تخدم غرضه الادّعائي بقدر ما تخدم نزوةً لديه ــ فإن الناقد هنا يدسُّ الحشيش لذاك المفكّر، شاعرًا كان أو فنانًا.

لن أتطرقَ بالصفحات التالية لكشفِ هذهِ المُمارساتِ فقط، بل سأسعى إلى توضيح النوازع النفسية الكامنة خَلْفَ الممارسة، دون تلفيقٍ أو إضافاتٍ من عندي على غرار العين بالعين، إنما كما يقول جاك لاكان "كُلُّ شيءٍ يحدُثُ هنا، في اللغة"، فقط لتُصغيَ.

مقدمة

ظننتُ وأنا أرى كتاب "جُنون الفلاسفة" – العنوان بالأصل "فلاسفة يتصرّفون بشكل سيئ" – أنه مؤلَّف يتطرق لتحليل الاضطرابات النفسية والمشكلات العاطفية التي عاناها الفلاسفة، كما جرت العادة بمؤلَّفات عُلماء النفس والمحللين النفسيين، والتي تُسلّط الضوء على جوانب حياة المؤلفين، ليزيد هذا التسليط من توضيح المفاهيم الفلسفية لأولئك المؤلفين. غير أن ما اصطدمتُ به في كتابِ "جنون الفلاسفة" هو سلسلة من الاتهامات، وتركيباتِ أدبيةٍ لم تكشف لي إلّا عن نوازعَ مَرَضيَّةٍ دفعت كل من نايجل رودجرز وميل ثومبثون (كاتبان إنجليزيان) لتأليف الكتاب ضَمانًا للشهرة من جهة، ووضع مسيرتيهما المتواضعة بجانب كبار المفكرين من جهةٍ أُخرى، أما الصورة العامة فهي أنهما أضيق أفقًا من أن يتعاملا فكريًّا مع فلاسفة التاريخ. فبماذا يمكن أن نفسر تأطير الفيلسوف في إطار أخلاقيٌّ مُعيّنٍ؟ الفيلسوف وُجوديًّا مُنفصل عن الأُطر والتصنيفات الأخلاقية وإلا تسقط عنه صفة التفلسف! الأغرب من ذلك وهو ادعاءُ الكاتبين أنهما انطلقا من غرض كشف التعارُض بين كُتب الفيلسوف وبين حياته، بين ما يكتبه وكيفية تصرفه، غافلين على أن الفلسفة تتأسس على مقاربات ومحاولات ــ وهي العناوين الفرعية التي تسم مقالات الفلاسفة ــ لا يتطابق الفيلسوف مع ما يكتب أو يقول

وكأنه حارس معبد! قد يكتب الفيلسوف عن أناهُ المثلى، عن كيف يود أن يكون أو كيف يود أن يرى المجتمع أن يكون، زيادة على أن الفيلسوف يُدلِي بأفكارٍ ومفاهيم قد تُقبل أو تُرفض أو تُغربَل حسب إرادةِ ورغبةِ كُلِّ مُتلقٍّ، لا يأتِي بديانة تُفرض وتُقسِّمُ الناس إلى تابعين وكفرة!

الفيلسوف قد يحلم، وسبق أن عنون الكاتب المصري سلامة موسى أحد كتبه بـ"أحلام الفلاسفة"، عَرَضَ فيه مجموعةً من المُقاربات الفلسفية، وجاء في مُقدِّمته على لسان الكاتب: "لكُلٍّ منا حياتان، حياة الواقع التي يعيشُها الإنسان مُتأثرًا بالوسط الزماني والمكاني، وحياة الخيال التي يرغبُ أن يعيشها. والفرق بين الحياتين هو الفرق بين الوجود الناقص وبين التخيّلِ الكامل. أو بين ما هو موجودٌ على الرغم منا وبين ما يجب أن يوجدَ وَفْقَ خيالنا وطبق رغباتنا. والعقل الإنساني مطبوعٌ على أن يُتمَّ بخياله ما يراه ناقصًا في الحقائق الواقعة حوله".

وكان سلامة موسى أذكى في عَرْضِه، وأكثر موضوعية وهو يذكر بأن "الفيلسوف والعالم والأديب كلّهم يتخيل ويحلم، وهم أكثر خيالًا وحلمًا إذا اضطربت أحوال المعيشة، وتنافر الخيال المُشتَهى مع الواقع الحتمي.. فهم يرون من الخبط والخلط في الهيئة الاجتماعية، ومن الظُّلم والإسراف في معاملات الناس، ما يحثّهم على اختراع نظام أوفى يضمن لهم أكمل ما يتوهمون من صور العدالة والصّحة والعمار"،

مُستشهدًا بكلام أناتول فرانس: "ومن الأحلام السخية (للفلاسفة) ظهرت الحقائق النافعة".

أمّا رمسيس عوض الكاتب المصري، فحدّث ولا حرج! فقد ذَهَبَ لأبعدِ مدًى في عملية الاتهام. لا أفهم رغبة البعض بأن يعيش الناس وفق رغباتِهم هم، وفق رؤاهم هم للجيّد والسيئ، أن يتصرف الإنسان بتفكيره انطلاقًا من مرجعياتهم البدائية لما يرونه هم لائقًا وغير لائق! أن يعيش الناس إجمالًا على هواهم، حتى تسقط عنهم التُّهمُ الأخلاقية!

أن نفرض على الناس مَفهومنا للسعادة، حتى لو كان ضد سعادتِهم!

يفتتح الكاتبان الإنجليزيان نايجل وميل كتابهما: "جنون الفلاسفة" بملاحظةٍ تحذيريةٍ تقول: "إننا لسنا بصددِ تقييمٍ أخلاقيٍّ للتصرفات، وجُلُّ اهتمامنا هو عرض حماقات الحكماء، كي لا تُقدّس ذِكراهم بشكلٍ مُحرجٍ". لكن لتوضيح نقطةٍ مهمةٍ، فعندما تتطرق لكشف التصرفات الخاصة لمفكّرٍ معيّن (ولنتذكر هنا أن التركيز على تصرفاته السيئة) دون تأطيرها بنمطٍ سُلوكيٍّ دارجٍ (باعتباره نمطًا سيئًا/مَرضيًّا) كـ"تشخيص"، فأنتَ مُباشرةً تقيّمه أخلاقيًّا انطلاقًا من منظورك الاجتماعي للأخلاق، أو (وهو الكارثة) من منظورِك الأسري أو الذاتيّ للأخلاقِ!

زيادةً على ذلك، ما الهدفُ من نشْرِ مساوئ الآخرين دون فهم الدوافع والأسباب؟

دون الدفع بالبحث لتضمين الموضوع هذه الدوافع والأسباب حتى تتسع الصورةُ بشكلٍ أوضح للمتلقي؟

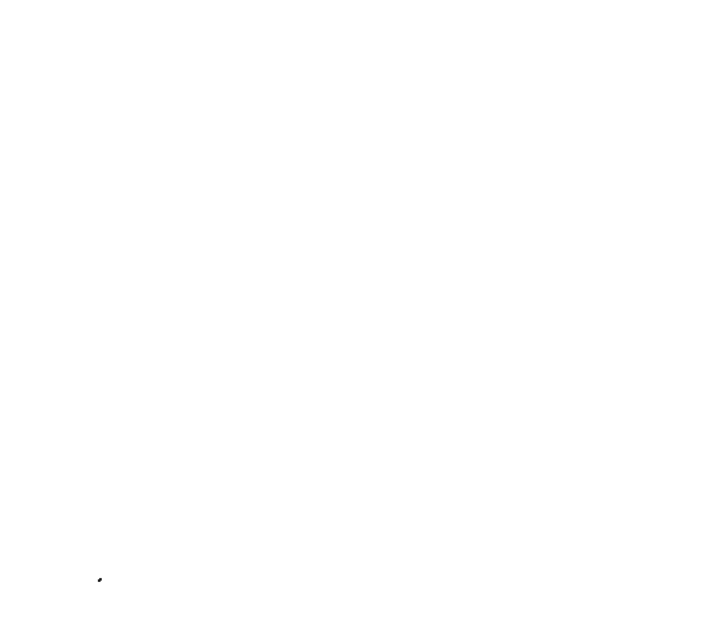
ألا يمكن ساعتَها أن ينطبق قول الروائي الروسي ميخائيل ليرمنتوف: "إننا نغفر ما نفهمُه، نغفرُه دائمًا تقريبًا"؟

ألا يخدم نشرُ مساوئ الآخرين - كادعاءٍ إصلاحيٍّ - ربطهم مهما يعلوا ويرتقوا بالسوء والشَّرِّ؟ ما يجعل الناشر تلقائيًا (من منظور ثنائي ضدي) ضمن الأخيار والأفاضل، كموازنة الشعور بقلة الأهمية أمام عظمةٍ ملموسةٍ ومَمقوتةٍ بنفس الوقت (لأن الناشر المُفتقِد لها يُهدفُ لها كذلك)!

1. جون جاك روسو

حُرِّيَّةُ الفَردِ لا تَكْمُنُ في أَنَّه يستطيعُ أنْ يَفْعَلَ ما يُريدُ،
بَلْ في أَنَّهُ لا يَجِبُ عَليهِ أنْ يَفْعلَ ما لا يُريدُ.

¤ جون جاك روسو



"إنَّ القلب نفسَه يدُقُّ في كل الصدور الإنسانية"، من المقولات المتوارثة عن روسو الذي دافع عن طِيبةِ الإنسان باعتبارها فطريةً، أما الشَّرُّ فابتداع اجتماعي يشوّه هذه الطيبة، ما دفع نيتشه للسُّخرية منه على اعتبار أن روسو يُسقط الخير بلا مبالاةٍ على الطبيعة! وذلك نتيجةَ سوءِ تكيُّفهِ الاجتماعيّ.

كَتَبَ مرةً: "كنتُ أجِدُ لذةً رائعةً في الجلوس تحت قدمي حبيبتي المُتعجرفة، مُطيعًا أوامرها، طالبًا الغُفران منها. كلما تأجّجَ دمي بتأثير خَيالاتِيَ الحيّة، حصلتُ على مظهر العاشِق الباكي". فعلّق على ذلك الكاتبان الإنجليزيان نايجل وميل بـــ "وجدَت المازوشية التي سيطرت على حياة روسو كاملةً، منفذًا وحيدًا تقريبًا لها، من خلال خيالات الاستمناء. ربما عبّرت عن حنين طفولي للاهتمام والطُّمأنينة التّامّين، نَشَآ من طُفولتِه الخالية من الحبّ"(1).

لا أعرف بماذا ينفع القارئ مثل هذا الكلام المُلتَبِس؟!

مع العلم أن روسو هو من افتتح مُوضةَ الاعترافاتِ الصَّريحة بعيدًا عن صيغة الاعتراف المسيحي النادمِ، دون خَجَلِه مما دَوَّنَهُ. فهو من قال في "دين الفطرة":

"يُقال إن الضمير وهمٌ من الأوهام التي تتوارثُها دون فحصٍ. لكن تجربتي تثبت أن ضميرنا لا ينفكُّ يطيع أوامرَ الطَّبيعةَ ويعاكس كل قوانين البَشَرِ. يُلحّ المجتمع على حظر هذا الفعل أو ذاك، لكن إن كان المَحظورُ مما تُبيحُه حقًّا الطبيعةُ، وبالأحرى إن كان ما توصي به، فلا يوبّخنا الضَّميرُ إلا توبيخًا خفيفًا".!

ماذا يمكن أن يكتب الإنسان عن روسو، متجاوزًا مقالاتٍ وكتبًا وأبحاثًا سابقةً عنه، دون تكرار؟

يتطلب الأمر صياغات ومفاهيم جديدة حوله، رؤية جديدة بشكل أعم. انطلاقًا من ذلك، فلم يظل أمام المؤلفان اللذان تطرقا للحياة الشخصية للمفكّر سوى تصويره كشخصيةٍ فاشلة، وأنانية مضطربة، تعيش على نفقة الآخرين، وما تلبث أن تدخل في شِجاراتٍ وخصوماتٍ مع من حولها. غير أن سيرة كل فيلسوف، تحوي تقارير إيجابيةً عنه وأخرى القاسية ــ غالبًا ما يعايشُ الفيلسوفُ التبجيلَ السامي والاتهامات القاسية على حد سواء ــ لذلك فهما لم يعرضا جنونًا أو كشفًا لاضطراب عاناه روسو، بقدر ما حاكماه أخلاقيًّا، على استمنائه، وعيشه مع نسوةٍ، وخلافاته مع بعض معارفه، مندفعين

بحماسةٍ لسَرْدِ كل ما يقع بيديهما ويخدم مطلبهما سواء حدث أو لم يحدث!

طلَب ناشر من الكاتب كولن ويلسن – خلال جولة محاضرات بالولايات المتحدة – تأليف مقدمة لكتاب عن شخصية معينة، ولَمح له الناشر أنه إذا أحْدَثَ كولن إضافاتٍ من عنده (تلفيق يخدم عملية الترويج) فسيضاعِفُ له المبلغ المدفوع (إضافة مبلغ **10000** دولار على الــ**5000** المتفق عليها بالبدايةً). شعر كولن بالتردُّد والانزعاج لأن المخطوطة التي يلزمه إضافة مقدمة تعريفية (ترويجية) لها تتعلّقُ باعترافات إباحية رديئةٍ (فيَ نظره).

زار كولن أحد الأقارب الذين ينحدرون من سُلالة كاتب تلك الاعترافات (اسم الكاتب إيزموند دونللي). فدار بينهما الحوار التالي (الذي يرويه كولن):

"سألني: هل رأيتَ المخطوطة؟ (يقصد تلك التي عرضها عليه الناشر).

– أجل، وقد جئتُ بها معي.

أخرجتُها من الجيب الداخلي لستريّ، فتناولها بشوقٍ. وبعد أن قرأ نصف صفحة، ألقى بها على المائدة مع إشارةٍ تدلُّ على الاشمئزاز.

– تمامًا كما كنتُ أظنُّ. تزوير، مجرد تزوير غبي لعين.

دُهشتُ كالمصعوق، سألته: أأنت مُتأكّدٌ؟

– أنا متأكد طبعًا. ألم تقرأ يوميات إيزموند؟

أخشى أن أصارحك بأنني لم أقرأها. بل إنني لم كن أعرف بوجودِها قبل الآن. هل نُشرت؟

– إنها منشورة بالطبع. نُشرت في دبلن عام **1817**.

خرج من الحُجرة. وبعد دقائق قليلة عادَ وقَذَفَ على السرير مُجلدًا صغيرًا ذا غِلافٍ من الجلد. وكان العنوان: يوميات إيزموند دونللي، السيد ـــ وكان الناشر هو دار تيلفورد في دبلن. وكان الإهداء الرسمي موجّهًا إلى اللورد تشستر فليد، وهذا نَصُّه:

«سيدي اللورد، لقد كان لديَّ دائمًا من الأسباب ما يدعوني إلى أن أتذكّرَ قولك بأن أسوأ الرجال تربيةً في أوروبا، إذا سقطت مروحة السيدات، لجدير بالتأكيد بأن ينحني فيتناول المروحة ليعيدها إلى صاحبتها، وأن أفضل الرجال تربيةً في أوروبا لا يستطيع أن يفعل أكثر من هذا. وقد كانت هذه الفكرة الثاقبة، حول تَشابُهِ المواهب بين العظيم والوضيع في إطار مجالات محددة للنشاط، هي ما دفعني إلى أن أُقدّم إلى سيادتِك هذا المُجلّد الخالي من الادعاء...»

ولم تكن هناك حاجة إلى المُضي في القراءة بعد هذا. فإن الرجل الذي كان باستطاعته أن يكتبِ هذا النثر الأنيق جيد الصياغة لا يمكن

أن يكون هو ذلك الصبي الأبله الذي كتب يقول: «وفي خلال ثوانٍ قليلة كانت خنفسائي الكبيرة المحظوظة، قد اندسّت داخل محرابها العذري، وسائلي المنوي يجعل خصيتيّ تنتفخان كالبالونة»"(2).

بغضّ النظر عن شخصية دونللي هذا، ألا تُعزز القصة ما قاله نجيب محفوظ: "علاقتي بالنصّ تنتهي لحظة أن أسلّمه إلى المطبعة".

يتعلّق الناس بالإنتاج الفنّيّ، بغضّ النظر عن الحياة الفوضوية للمبدعين. فلو كان المعيار مرتبطًا بالحياة الشخصية للفنان، لضاعت وهُمِّشت العديدُ من الأعمال.. إن لم تكن غالبيتها.

---

1 ـــ جنون الفلاسفة، نايجل رودجرز وميل ثومبثون، ترجمة: متيم الضايع؛ دار الحوار ط 1.. ص23.

2 ـــ كولن ويلسن، إله المتاهة، ترجمة: سامي خشبة؛ دار الآداب ط1.. ص30 و31.

2 ـ آرثر شوبنهاور



القَدَرُ يَخْلِطُ الأَوْراقَ وَنَحْنُ نَلْعَبُ

◘ آرثر شوبنهاور

رغم أن شوبنهاور ترجَمَ مَشاعرَهُ فلسفيًا، حيث كتب بدقّةٍ عن وحدته العميقة، فإن فلسفته أُخذت بجديةٍ، حتى أنه أثّر بالعديد من المفكرين بعدَه، أبرزهم نيتشه.

لم يجد صاحبا مؤلف "جنون الفلاسفة"، ما يضيفانه من سُوءِ الحياة شوبنهاور المعروفة، غير ذِكْرِ خِلافاته مع أمه، وفَشَلِه بالحبِّ ومقتهِ الزواج وكذا المشاركات الاجتماعية. ورغم أن أفكاره كانت توضّح رؤيته للأمورِ، ما كان من الكاتبين – اللذين ادّعيا بالبداية حيادهما الأخلاقي – إلا أن ختما الفصل الخاص بهذا الفيلسوف بـــ:

"إن شوبنهاور الذي لم يجسّد أفكاره مثل بوديساتفا غربي، تصرّف طَوال حياته كشخصٍ تافهٍ كئيبٍ أنانيٍّ مُتمَحْورٍ حول ذاته"(1). تافه! غير أن سيغموند فرويد يعتبرُه من أعظم المفكرين، ولطالما استشهدَ به في غِمارِ عَرْضِهِ نظريةَ التحليل النفسيّ.

أما رمسيس عوض فقد اختتمَ فَصلَه عن نفس الفيلسوف بمقطع أكثر غرابةٍ، ومن الواضح أنه افتتح كتابَه بشوبنهاور لتعزيز ميولِه الاتهامية، حيث أطلق على الكتاب "ملحدون محدثون ومعاصرون"! ونعي جيدًا أن الإلحاد في الثقافة العربية يُؤخَذُ كتهمةٍ، وليس كمفهوم بالثقافة الغربية ـــ وما معنى إدراج جدول تعريفي بكتّاب غربيين معروفين وغير معروفين تحت مسمى "ملحدون"! إن أي شخص يتمتع بأدنى نسبةٍ من الوعي يدرك جيدًا أن الفلاسفة يتطرقون لموضوعاتٍ

اشتُهر الفيلسوف شوبنهاور بالعَدميَّة، وانطلاقًا من سمته التشاؤمية وتذمُّرِه الوُجوديِّ يسهل تلفيقُ أي خصلة سيئة له. لكن هيهات! كانت فلسفة شوبنهاور أقربَ لطريقةِ عَيشِه، فلم يكن ينصاعُ للأنطولوجيات الأخلاقية ولم يكن ليهتمَّ بتصوُّرات الآخرين، فعنده: يضحي الناس بأجزاء من شخصياتهم لإرضاء الآخرين، يبنون سعادتهم من خلال انطباعات الآخرين، لذلك – ومن منظوره – إذا وصلت ثقافةُ الإنسان لدرجةٍ عالية، فاحتمال أن يصبح شخصًا غير اجتماعيٍّ. و(شوبنهاور) أبرز من صاغَ تشبيهَ المُتميزين فكريًّا بالنسور التي تبني أعشاشها بالأعالي بعيدًا عن الرَّهْط، وهو السيناريو الذي اعتمَدَه نيتشه (الذي تأثَّر به) في أهمِّ أعماله "هكذا تكلَّمَ زاردشت" .

راهن شوبنهاور على الفِكْرِ والفَنِّ، فهو من يقول: "عامِلِ الأثَرَ الفنيَّ كأنك أميرٌ. دعه يتحدثُ أوّلًا"، اهتمَّ بالفلسفة والموسيقى مقابل الحياة التي "تتأرجح كبندولٍ للأمام والخلف بين الألم والملل".

علمية وسياسية واجتماعية وفنية، أما موقفهم من الدين فيدخل ضمن رؤية لاهوتية، تنظير بعلم اللاهوت. لكن موقف رمسيس الرجعي، يمكن أن يتضح لنا بسهولة بالمقطع التالي حيث يقول:

"وفي ختام الحديث عن شوبنهاور يجدر بنا أن نبيّن أنه كان يحتقر رجال اللاهوت، ويصف الدين بأنه ميتافيزيقا الشعوب. وكان طبيعيًا أن يرفض شوبنهاور المسيحية لأن أسلوبه في تربيته وتنشئته لم يزرع فيه حب احترام الدين أو الكنيسة"(2).

لا وجود لهُراءٍ تقرؤه أكثر من هذا، إذا لم تزرعْ حُبُّ الدين في الصغير، فهل يصير شوبنهاور السبب؟

وحتى إذا زرعت ذلك فيه، فهل يضمن ذلك استمراره على نفس الموقف طَوالَ حياته؟!

وهاك مثالًا بسيطًا، حيث رمسيس مصري، وغالبية المصريين يتربون حسب ثقافة دينية تزرع فيهم القيم ــ أكانت إسلامية أو مسيحية أو حتى يهودية (دون ذكر الطوائف اللا نهائية) ــ فهل هذا جنّب مصر مشكلات أخلاقية وأمنية؟!

---

1 ــ جنون الفلاسفة.. ص85.

2 ــ ملحدون محدثون ومعاصرون، رمسيس عوض؛ سينا للنشر والانتشار العربي ط1.. ص17.

فاختزال شوبنهاور بكل طاقته الفكرية وتأثيره الفلسفي (وهو بالجوهر اجتهاد ذاتي) في موقف طُفولي أو ردٍّ فعلٍ صِبيانيٍّ، تلك هي المُقاربة الصبيانية بعينها!

3 ـ فريدريك نيتشه



إنَّ الحَياةَ نَبْعُ مَسَرَّةٍ لكِنَّ حَيثُما يكرعُ الرّعاعُ تَتَسَمَّمُ كُلُّ الآبارِ.

¤ فريدريك نيتشه



لو كانت الفلسفة بُستانًا، فإن نيتشه هو الفَراشُ المنتشر بكل مكان. إن لم يكن الفيلسوف الأكثر شُهرةً فهو الأقرب للناس، مَقولاته وصُوَرُه تتكاثَرُ بالمواقع الافتراضية. نيتشه جميلٌ وحادٌّ وعجيبٌ ومُمتعٌ. مهما قيل وكُتب عن نيتشه فذلك لا يزيد ولا ينقص منه: بما في ذلك الهجمات المُعادية للنازية، والتي أولّت هذا التوجّه السياسي الكارثي كتجسيدٍ حيٍّ لأفكاره ورؤاه.

ومساوئ نيتشه مُبتذلةٌ: "موت الله"، غيرته من تأثير وشهرة المسيح، بحثه عن الأب في الموسيقي فاغنر، تعويضه النفسي بالسوبر مان.. وهذه الأمور مذكورة بغالبية الكتب التي تتطرق لنيتشه ومن ضمنها "جنون الفلاسفة". غير أن الضربة القاسمة لنيتشه تظل سالومي، والتي قلبت موازينه وصدمت كل من سَمِعَ يومًا بنيتشه! وهي مسألة تحتاج تأمُّلًا وليس تأويلًا خبيثًا للنيّاتِ كما فعل الكاتبان الإنجليزيان، فماذا يمكن أن ننتظر ممن يسرد هكذا شيء؛

"أخته إليزابيث، المهتمّة به منذ مدة طويلة لدرجة يشكّ المرء بأن لديها ولعًا سِفاحيًا به"(1)!!

الآن إذا اهتمّت بك أختك أو اعتنت بك، فهل هذا يُشيرُ لولعٍ سِفاحيٍّ بك؟

ماذا يلزمها أن تفعل لتتجنب ذلك؟ تتركُك وتذهبُ حتى لو كنت بحاجةٍ لرعايةٍ، وذلك كي لا تلتصق بها تُهمة انتهاك المحارم؟

وهل ينطبق الأمر كذلك على الأخ المُعتني بأخته؟

لما لا يُفسر الأمر (وهو الأكثر مَنطقيًا وعقلانيًا) باعتزاز إليزابيث بأخيها الفيلسوف، وافتخارها به؟ وما يعزز ذلك جمعها لمخطوطاته وترتيبها ونشرها بعد موته.

بنفس السنة التي تعرّف فيها الفيلسوف على الشابّةِ الروسية لو سالومي (ربيع 1882)، كتب نيتشه لهذه الروسية التي فتنته، بعض التوضيحاتِ الأساسية حول الذكورة والأنوثة، وذلك فيما يتعلق بمفهوم الحب. علاقة نيتشه بسالومي علاقةٌ مُضطربة نوعًا ما، وكان لها تأثير على كلا الطرفين ــ خاصة نيتشه.

فسالومي العشرينية الحالمة والمؤمنة بالعلاقات المتحررة والصداقات المُثيرة انبهرت بمجاز نيتشه وطريقة إلقائه، الأمر الذي جعله في نظرِها رمزًا ثقافيًا، وفارسًا أُسطوريًا أقرب للخيال منه للواقع بنعومتِه

المُفرطة، وسعيه المُتكرر لإضفاء طابعٍ فلسفيٍّ على حضورها وشكلِها. من جهة نيتشه فسالومي لديه هي النقص الذي يكمّله، الغياب الذي يلزمه لتعزيز وتقوية حُضوره، سالومي في نَظَرِه هي الجمال والرِّفعة والشباب والحيوية وكل ما كان يراهن عليه نيتشه الأربعيني لتجاوز ذاته المُحبطة والمحرومة حِسيًّا. سالومي المندفعة بحماسةِ الشباب، والمُتعطشة للعظمة التي تتكشف في تعلّقها بأي قامةٍ فكرية ظاهرة بالوسط، رفضت الخضوع لارتباط تقليدي مع الفيلسوف الذي استيقظت فيه روحانية حميميةٍ نتيجة الحضور الإلهي لسالومي ــ كما أحسّه.

أثر هذا المنعطف بمسيرة الفيلسوف حيث انقلبت مفاهيمه ومازجت بين التناقض والاختلال والحدس أحيانًا، قسوة الطرح لديه ووضوح الرؤى خالَفَ تدهورَه السُّلوكيّ وانتكاسَه العاطفيّ الطُّفوليّ. فيلسوف الأفق ارتدّ كطائرٍ جريح.

لم يدرك نيتشه نينجا الفلسفة هذا أن سالومي التي رآها كزوجة ناضجة، رأت نفسها كأميرةِ رواية رومانسية تجذب ألمع العقول إرضاءً لغرور جمالها المُتفتّح، معتبرة نيتشه أستاذها المرغوب الذي يلزمها إغواء جدّيته وليس خطيبها الولهان بصيغة مُراهقٍ متوتّر. أسقط عليها كيان ڤينوس الإلهي وهي مجرد عصفورة، فأجفلت وفرّت. كانت تميل للقهقهة بالطُّرقات، ولَعِبِ الغُميضة بين الأشجار كطفلةٍ

تحضنها في لعبها عينا أبيها وتحمياها من تعثر اندفاعاتها السعيدة، بينها هو كان يرغب بعارضة أزياء مُتقاعدة تتشبث بذراعه فيما هو يتأمل في هفوات إيمانويل كانط على كرسي بالحديقة، أو تضع الشاي بقُربه بينما هو يدوّن شذرات سيكولوجية بمكتبه في منزل ريفي. إنه اختلاف رؤى ومتطلّبات عمرية، زاد من توسيعه عجز نيتشه عن استيعاب دلع سالومي. وفي مراسلاته سيتبيّن جوهر الإشكال، حيث نيتشه يرى سالومي كفيلسوفٍ ندٍّ أو قامة فكرية موازية، على غرار الماركيزات في المسرحيات الجدلية! لكن سالومي تظلُّ أنثى، والأنثى ليست "طيّبة ولطيفة ومُحبة على الدوام، هناك أوقات تكون فيها باردةً ومُستهترةً وعَصيّةً على الفهم"، كما عرّفت بذلك سيلفيا بلاث عن نفسها.

كتب نيتشه لسالومي العديد من الرسائل، مُستعرضًا لها أفكاره وحالته النفسية والصحية، كتاباته، مكان وجوده، دعوات وكذلك وصايا حول أسلوبي العيش والكتابة، بما في ذلك المقاطع التالية عن الحب:

"1- من يطمحون للعظمة هم بالعادة أناس سيئون، تلك طريقتهم الوحيدة في التحمّل.

2- من لا يجد العظمة في الإله لن يجدها أبدًا، وبالتالي فإما ينكرها- أو يخلقها (يساهم في الخلق).

3- الترقُّب الهائل للحب الجنسي، يُشوِّه رؤية النساء لكل التوقعات البعيدة المدى.

4- البطولة – إنها التفاوت حيث الشخص الذي يضع هدفًا نُصْبَ عينه لا يُدخل ذاته بتاتًا في الحساب. البطولة هي الإرادة المناسبة لاختفاء الذات.

5- نقيض النموذج البطولي هو نموذج النمو الكوني المتناغِم – نقيض رائع ومرغوب! غير أنه نموذج موفَّر فقط للذوات الجيّدة الأساس (غوته على سبيل المثال).

الحب بالنسبة للرجال شيء يختلفُ تمامًا عمَّا تفهمه النساء.

بالنسبة للأغلبية، الحب – بدون شَكٍّ – هو شكل من الجشع. بالنسبة للبقية، هو مذهب معاناة مقدسة ومُقنِعة.

لو اضطلع الصديق ري على ما كُتب هنا، سيعتقد بأني جُنِنْتُ.

كيف هي حالكم؟ لم يسبق أن عرفَت توتنبرغ نهارًا أجمل من هذا. الهواء نقي، ناعم، وقوي، مثلما يجب أن نكون جميعًا.

خالص التقدير.

ف ن"(2).

كان الصديق ري المذكور برسالة (غشت من نفس السنة) هو الذي قدّم سالومي لنيتشه بروما شهر أبريل. وهو سبب الانعطاف في العلاقة، حيث إن ري كسب ودّ سالومي نتيجة تقرّبه الكبير منها ومرافقته لها بالغالب. لم يتوانَ نيتشه في مُراسلاته عن معاتبتهما ولومهما، مُحاولًا الظهور مرة بصفة المخدوع، ومرة بصفة المُفكر الراقي الذي تفهّم القصة، ومرة بصيغة الغفران ومحاولة إعادة إصلاح العلاقة، ومرة بهيئة المتعالي الذي ينتظر اعتذاراتهما (خاصة سالومي)، ليتزلق الأمر بنيتشه في النهاية حد الشتم والإهانة والتقليل من شأن سالومي متخلّيا عن وقار هيئته الفكرية. مُضيفًا أخته كذلك لمعادلة اللّومِ والكُرهِ والتي سمّمت في نظره العلاقة بتدخلها في الشّجارِ نتيجةً مَقتِها لسالومي.

ظلت سالومي الهوس الذي لم يرغب التخلُّصَ منه، مُتخفيَةً في رسائله وأعمالِه، لتكون الشمّاعة التي يُعلّقُ عليها اضطرابه.

كتَب مرّة: "حين نضطر إلى تغيير رأينا في شخص ما، نُحاسِبُه بشدةٍ على الأتعاب التي سببها لنا جراء ذلك".

---

1 ــ جنون الفلاسفة.. ص114.

2 ــ نسخة فرنسية من الرسالة متوفرة بموقع **Des Lettres** مع النسخة الألمانية بالتعليق.

Lettre de Friedrich Nietzsche à Lou Andréas Salomé

4 ـ مارتن هايدغر

سادَةُ المدارِسِ المُتَخَلِّفَةِ، التِّقنيونَ دُونَ وَظيفةٍ
والبُرجوازيونَ الصِّغارُ، تَحَوّلُوا لأوصياءَ على "الناس"،
باعْتِبارِهِمْ واضِعي المَعايِيرِ

¤ مارتن هايدغر

بعد سرد تفاصيل دقيقة ــ بجانبها السيئ بالتأكيد ــ من جانب مؤلِّفَيْ "جنون الفلاسفة"، تفاصيل تعود لكل من برتراند راسل ولودفيغ وتغنشتاين بفصلٍ مُطوّل يعرضُ حياةَ كل واحدٍ منها، حتى لتشعر أن المؤلّفين عايشا راسل ووتغنشتاين عن قُربٍ، ولربما مَنْ عايشوا فعلًا راسل أو وتغنشتاين لم يعلموا بتلك التفاصيل! ليأتي الدور بعدها على الفيلسوف الألماني الشهير مارتن هايدغر، بعنوانٍ فرعي يفتتحُ فَصْلَه كالتالي: الساحر، المفترس، الفلاّح، النازي.

والساحر إشارة لتأثيره الفلسفي الطاغي داخل وخارج أسوار الجامعة. المفترس إشارة مُبهمةً لعلاقاته الغرامية مع طالبات الجامعة. الفلاح إشارة لتعلّقه بالأصول وتوقهِ لحياة الأرياف. أما النازي فتشير لمحاولته المبدئية للانخراط السياسي وحماستِهِ المتسرعة بصعود النازية.

يبدأ الكاتبان الفصل بسخريةٍ من مظهر هايدغر! حيث كتبا يقولان:

"تستطيع الأزياء أن تقول كل شيء. ففي الصورة الملتقطة حوالي عام 1922، يظهر مارتن هايدغر، وهو لا يزال أستاذا مُساعدًا شابًا، يسير إلى جانب معلّمه الخاص الجديد الكهل، وأستاذه السابق، إدموند هوسرل. يرتدي هوسرل بذلة وقبّعة عريضة الحوافّ، ويستند على عصاةُ مُذهّبةِ القبضة، مما يشير إلى الرُّقي والحضارة. وبتباينٍ مُتعمَّدٍ عُدواني، يرتدي هايدغر زيّه الفلاحي الخاص بقريته ومسقط رأسه بلاك فوريست ـــ بنطالًا جلديًا حتى الركبة، وجوربين سميكين بيضاوين يصلان إلى الركبة. يظهر ابن الريف القاسي بهيئته وعضلاته المفتولة، لا يشعر بالراحة تمامًا في العالم الأكاديمي الحضري المُتحرر، الذي يطغى عليه التأثيرُ اليهوديُّ غالبًا. ربما كان لباسه الريفي مُسليًا، إن لم يتحدث عن إحساسٍ عظيمٍ بالذات، وهو الإحساس الذي كان سيُهيمِن على كامل تفكيره"(1).

وبمقابل هذا الوصف، سننتقل لوصف هانز جورج غادامير الفيلسوف الذي عايش فعلا هايدغر، يقول عنه:

"إن كل من عَرَفَ هايدغر الشاب يستطيع أن يشهد على هذا (أصالته) استنادا إلى مظهره الخارجي ـــ فمظهره لا يتطابق، في الأقل، مع الصورة التي نتخيلُها في العادة عن فيلسوف. وأنا أذكُرُ كيف التقيتُه للمرة الأولى في ربيع عام 1923. إذ سمعتُ هَمهماتٍ في الحلقات الفلسفية بماربورغ عن نابغة ظهر بفرايبورغ، وعن تقارير

مكتوبة تدور حول الأسلوب غير المألوف لمساعد هوسرل كانت تتناقلُها الأيدي. فذهبتُ قاصِدًا زيارتَه في مكتبِه بجامعة فرايبورغ. وما إن دخلتُ الرِّواق حتى رأيتُ شخصًا يخرج من مكتبِه بصُحبةِ شخص آخر ــ لم يكن ضخمًا، ولكنه كان صغير الجسم وعابسًا. فانتظرت في الخارج بصبرٍ مفترضًا أن هناك شخصًا آخر ما يزال مع هايدغر. ولكن هذا الشخص الآخر الذي كان قد خرج كان هو هيدغر نفسُه. بالطبع، كان مُختلفًا تمامًا عن أساتذة الفلسفة الذين عرفتهم. فبدا لي أشبه، بمهندس، أو تقنيّ: كان مُقتصدًا في حديثِه، وعَمليًّا، ومُتحفظًا، ومُفعمًا بطاقةٍ صلبةٍ، ولا يتمتع بتلك الطبيعةِ العَفويةِ التي يتمتع بها الإنسانُ المُثقفُ.

على أيةِ حال، فإذا ما أراد المرءُ أن يتفرّس في وجه هايدغر، فإنه ما إن يلمح، للمرة الأولى، نظرةَ عينيه حتى يعرف أن هذا الرجل كان وما يزال رؤيويًّا. إنه مُفكرٌ يرى"(2).

أكثرُ ما يؤخذ على هايدغر، هو موقفه من النازية (بما يتضمن ذلك موقفه من اليهود والمشترَك الألماني اللُّغوي). جاء بمؤلف جنون الفلاسفة: "وبشكلٍ مُتناقضٍ، هايدغر، الذي يدين بالكثير ليهود ألمانيا (وهم الأكثر استيعابًا والأكثر ثقافةً وتألُّقًا في أوروبا كلها، كاد يصبح النبي المتحمس والمسيح اليهودي للنازية). وفي نيسان المصيري من عام 1933، وعندما كانت ألمانيا تختبر (مزامنة التحكُّم) للرايخ النازي

الجديد وهتلر الذي حصل على السلطة الكاملة قبل أسابيع فقط، وكان يقتلع مؤسسات فيمر الجمهورية بسرعة مرعبة، كان مارتن هايدغر قد انتُخب رئيسًا لجامعة فرايبورغ وانضم إلى الحزب النازي"(3).

يسلّط الكاتب لويس فرناندو مورينو كلاروس الضوء على هذه النقطة بقوله:

"في الواقع، نرى أن المفكر الفريد من نوعه، وهو في نفس الوقت إنسان، قد ارتكب خطأً كبيرًا بالتزامه مع النازية، معتقدًا أن صعود هذه الحركة سيأتي بالتغيير الأفضل لمصير ألمانيا، ثورة جذرية للروح الألمانية لم تحدث كما كان يتوقع. معتقدًا أن التوحُّد الألماني بقيادة هتلر، سيلهم الألمان للسعي نحو الحقيقة والكينونة، فحيّا الصعود النازي كـ«مبدأ عظيم»، آملًا بأن الفلسفة ستستفيدُ من جراء ذلك، هيمنتها الثقافية على الحياة الاجتماعية للألمان، كما حدث بـ(مثالية) المجتمع الإغريقي القديم. والفلاسفة، الذين غالبًا ما يعيشون مُنعزلين (هايدغر كان كذلك بدرجة كبيرة)، سيخرجون من عُزلتهم، وبصرف النظر عن «أناهم الصغير»، سيمشون مُجتمعين مع الرجال الآخرين"(4).

يطرح كتاب جنون الفلاسفة سؤالًا مَفادُه: "هل كان الالتزام النازي لهايدغر مجرد خيارٍ سياسيٍّ مؤسفٍ، أم أنه قام به عاكسًا

فلسفته؟"(5).

يجيب لويس فرناندو: "هايدغر، كما أفلاطون مع طاغية سيراكوس، آمن بدولة مثالية للفضلاء، حيث بالإمكان دمج بعضٍ من أفكاره، فأتت هذه الدفاتر (مذكرات هايدغر المعنونة بالدفاتر السوداء) تعبيرًا عن خيبة أمه بعدما تبيّن أنه ليس هنالك ما يفعله. إلى أن انتهى به الأمر متبرّمًا من الشكل «المبتذَل» للحركة الهتليرية، مغيّرًا الوجهة صوب «البلاشفة» بكلماته"(6).

تواصلت عملية الكاتبين الاستفزازية وهما يتحدثان عن أن: "هايدغر كرئيس جامعة، كان قادرًا على منع الطلاب اليهود من الحصول على شهاداتهم، كما وافق أيضًا على منع هوسرل (أستاذه) من استخدام مكتبة الجامعة. لا بدّ أن تكون هذه الخطوة المتطرفة ضد هوسرل، الرجل الذي كان مُعلّمه لسنوات، مؤلمة جدًّا. وقد كتب رسالة مؤرَّخة في 4 أيار (مايو) من العام 1933 «في السنوات الأخيرة، كان قد سمح لمعاداته للسامية بالوصول إلى السطح بشكل مُتزايد، حتى في تعامله مع مجموعاته من الطلاب اليهود المخلصين. لقد صدمتني الأحداث التي جرت في الأسابيع القليلة الأخيرة، في أعمق جذور تجربتي»"(7).

غير أن هايدغر أجاب بنفسه عن كل تلك الادعاءات بقوله:

"موقفي ظَلّ كما هو ولم يتغير بعد 1933. طالبة من أقدم طلابي وأكثرهم تفوقًا، هيلين فايس، والتي هاجرت بعدها لاسكتلندا، حصلت على شهادة الدكتوراه من جامعة بازل (بعدما لم يعد بإمكانها أن تتلقاها بجامعة فرايبورغ) بأطروحة متميزة عن «السببية والمصادفة في فلسفة أرسطو»، طُبعت بـبازل سنة 1942. بنهاية مقدمة الكتاب كتبتْ: «محاولة في التفسير الظاهراتي، والتي نعرض جزءها الأول هنا، تمت بمساعدة التفاسير غير المنشورة لمارتن هايدغر عن الفلسفة الإغريقية». ها هنا ترى نسخة بإهداء مكتوب بخط اليد مرسلة من قبل الكاتبة سنة 1948. لقد قمت بزيارة د.فايس عدة مرات بـبازل قبل وفاتها.. كمسؤول إداري، كانت مسؤوليتي تتمحور حول المكتبة. لم أُذعنْ للمطالب المتكررة حول عزل كتب المؤلفين اليهود. الملتحقون سابقًا بمحاضراتي يمكن لهم أن يدلوا اليوم بشهاداتهم ليس فقط بأنه لم يتم عزل أي كتب لمؤلفين يهود، بل بأن هؤلاء المؤلفين اليهود، خصوصًا هوسرل، كان يُقتبس منهم ويُناقَشون مثلما كان الأمر قبل 1933" (حوار دير شبيغل).

أما بشأن خلافه مع أستاذه، فيقول:

"هذا الادعاء بأنني قطعتُ علاقتي بـهوسرل لا أساس له من الصحة. بعثت زوجتي برقيةً باسمينا إلى السيدة هوسرل في شهر مايو من سنة 1933. تضمنت تعبيرنا عن «الامتنان اللا متغير»، والبرقية كان مُرْفقًا بها باقة من الزهور إلى منزلهما. بعد فترة وجيزة تلقينا ردًا

من السيدة هوسرل عبارة عن بطاقة شكر أوردت فيها أن العلاقة بين أسرتينا قد انفصلت. اعتبرت نفسي إنسانًا فاشلًا لأني عجزت عن التعبير مرة أخرى عن امتناني وإعجابي بـــهوسرل وهو بسرير المرض وكذلك بعد موته. لكني بعثتُ برسالة اعتذارٍ عن ذلك للسيدة هوسرل فيما بعد".

ظن الكاتبان في معرض حديثهما عن مساوئ هايدغر أنه: "لم يعترف أن عام 1933، مثّل «خطأه الأعظم» إلا في مقابلة مع (دير شبيغل) في العام 1966 ـــ المقابلة التي لم يتم بثّها إلا بعد وفاته"(8). وقد ترجمتُ كل ما جرى بالحوار للغة العربية ولم أجد هذا الاعتذار! ظل هايدغر صامتًا بخصوص موقفه السياسي فيما يتعلق بالنازية بعد الحرب، حمايةً لعائلته.

زيادة على التشنيع يرى الكاتبان الإنجليزيان بأنه: ل"ربما يمكن مسامحة هايدغر، في سياق تلك اللحظة التاريخية، على نظرته الأولية حول قدرات الصحوة الوطنية"(9). لكن من قال إن هايدغر يسأل أحدًا المسامحة؟ الأكثر من ذلك أنه يندهِشُ ممن قاموا باتهامه والتشنيع بالنازية أين كانوا حينما كان الحزب بالسلطة؟ ساخرًا من المسألة إجمالًا، بقوله: "الحكومات الأجنبية بنفس الوقت كانت تتسابق للاعتراف بـــهلتر وعرض المجاملات الدولية النمطية".

عرض زكي بيضون مُلخّصًا عن كتاب "هايدغر، بلاد الإغريق، والمصير الأوروبي" وهو "كتاب جماعي يضمُّ مجموعة محاضرات ألقيت

في سياق مؤتمر يحمل العنوان نفسه". يتطرق لنظرياتٍ نقدية لفكر هايدغر، تحدث زكي عن أبرزها:

"المحاضرة الأولى ألقاها جاكوب روغوزينسكي تحت عنوان «هايدغر وخُرافة العودة إلى الإغريق»، ويعتبر فيها أن الفيلسوف الألماني، في تأويله للنصوص الإغريقية، يكرر بالضبط ما يعيبُ على هيغل، ويُسقط طروحاته الفلسفية الخاصة على الإغريق جاعلًا من فكرهم تمهيدًا لفلسفته...

لتدعيم طرحه، يشير روغوزينسكي أولًا إلى الطابع الانتقالي لاهتمام هايدغر بالفكر الإغريقي، فهو لم يُعِرْ أيَّ انتباه جدي لفلاسفةٍ إغريق أساسيين مثل دمقريطس وأمبدقليس وغيرهم، ثم يعدد المغالطات العديدة التي اكتشفها الفيلولوجيون في ترجمات وتأويلات هايدغر للنصوص الإغريقية، ما اضطر هذا الأخير إلى التراجُعِ عن نظرية الانعطاف الأفلاطوني والاعتراف بأن الإغريق كانوا، حتى في أيام هوميروس، يفهمون الحقيقة بوصفها تطابقًا.

المحاضرة الثانية ألقاها غونتر فيغال بعنوان «القول المكرَّر، هايدغر وبرمنيدس» ويقدّم فيها قراءة نقدية للنتاج المتأخر لهايدغر الثاني (أي هايدغر بعد تخلّيه عن مشروع إعادة تأسيس الأنطولوجيا الذي استهله في «الكون والزمان») حول الفكر و«فيمياء» اللا ظاهر...

في مقاربته النقدية، يعتبر فيغال أن هذا الفكر الذي يقوم على استحضار الكون من خلال القول الذي يسمّيه، لا يَنْتُجُ عنه إلا القول الناجز الذي يقتصر على بسط وتحصيل مسمّيات الكون الحاصلة في اللغة، ولا يتيح أي فهم للكائن أو الظاهرة. وللخروج من المأزق الفلسفي الذي تؤدي إليه هذه المقاربة الهيدغرية، يقترح إعادة تأهيل الجدلية.

أما المحاضرة الثالثة، فألقتها آن ميركير بعنوان: «العدم نفسه يُعدم. إعدامية العدم على مدى الفكر الغربي: برمنيدس، أفلاطون، هايدغر»، وتستكمل فيها «هَيْدَغَرة» نصوص برمنيدس وأفلاطون، وتكشف عن إمكانات تأويلية هيدغرية في هذه النصوص غابت عن هيدغر نفسه...

---

1 ــ جنون الفلاسفة.. ص205 و206.

2 ــ هانز جورج غادامير، طرق هايدغر، ترجمة: حسن كاظم وعلي حاكم صالح؛ دار الكتاب الجديد المتحدة ط1.. ص68 و69.

3 ــ جنون الفلاسفة.. ص206 و207.

4 ــ Heidegger, el pensador desilusionado - Luis Fernando Moreno Claros; El Pais

"الدفاتر السوداء: هايدغر الفيلسوف الخائب"، ترجمة متوفرة بموقع أنفاس.

تعتبر ميركير أن العلم يظهر هنا داخل اللوغوس كقوة عادمة تقودُه إلى التناقُضِ مع نفسه وتعدمه من الداخل بحيث يكتشفُ القائل أنه في الواقع لا يقول شيئًا، اللا يُقال يحضر داخل القول المنطقي ويُحيلُه إلى أصوات شفهية عديمة المعنى، وذلك ما إن يحاول هذا الأخير سَبْرَ غور ماهيته الخاصة"(10).

غير أن نقدًا أكثر موضوعية لفكر هايدغر، يتطلب عودة لغادامير، سارتر، وخاصة جاك دريدا، بما في ذلك طروحات المتأخرين، لفهم أوسع.

---

5 ـ جنون الفلاسفة.. ص219.

Heidegger, el pensador desilusionado ـ 6

7 ـ جنون الفلاسفة.. ص222.

8 ـ جنون الفلاسفة.. ص225.

9 ـ جنون الفلاسفة.. ص221.

10 ـ زكي بيضون، الإغريق والتأويل الأوروبي: هايدغر من جديد، العربي الجديد 27 فبراير 2015.

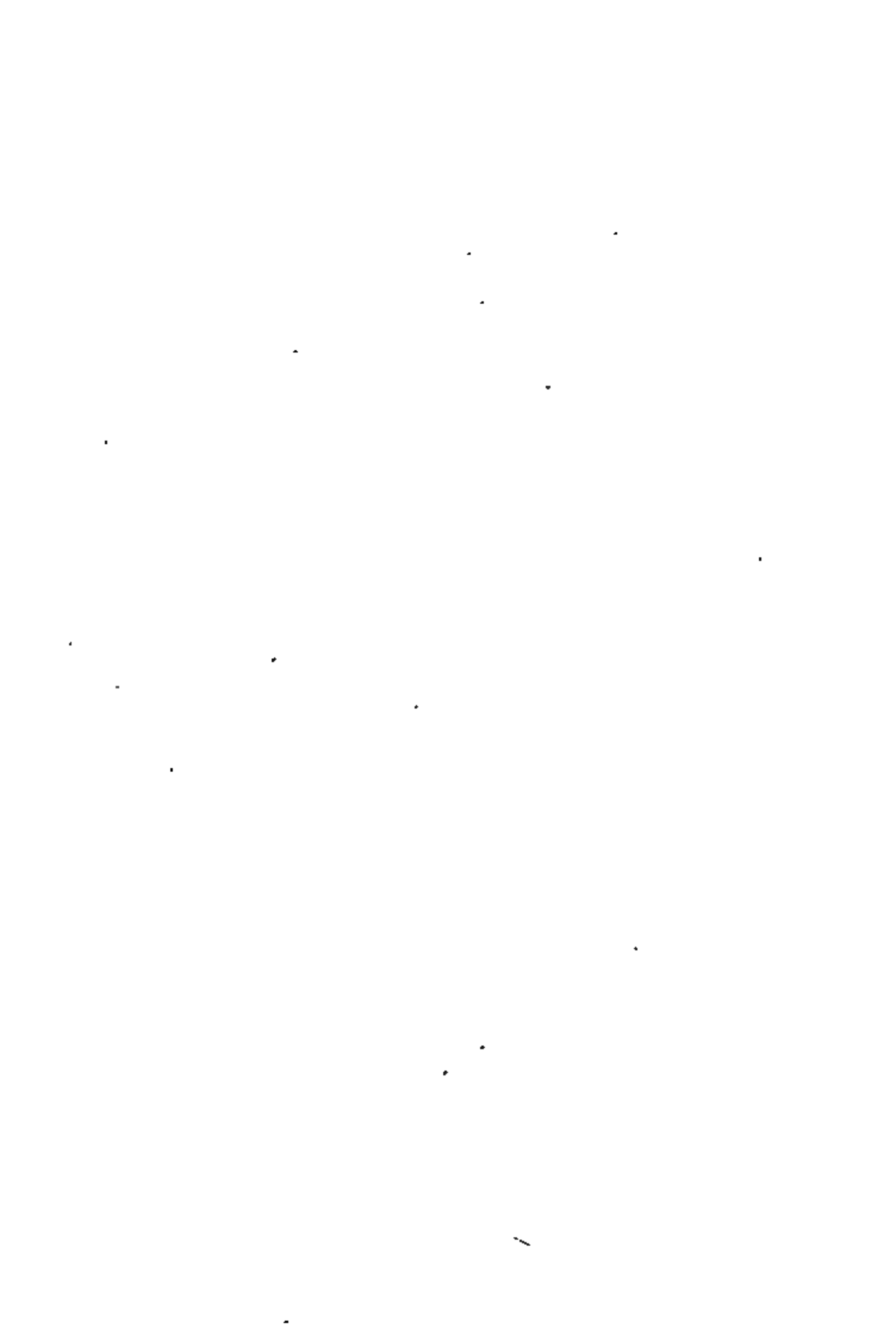
5 ـ فوكو Vs سارتر

الرُّوحُ هِيَ سِجنُ الجَسَدِ

¤ ميشال فوكو

الوُجُودُ يَسْبِقُ الجَوْهَرِ

¤ جون بول سارتر



"ما نُحققُه بداخلنا سيغيرُ الحقيقة الخارجية"، مقولة بلوتارخ هذه، تنطبقُ على كل من جون بول سارتر وميشال فوكو، الفيلسوفان الفرنسيان، بالرغم من أن الأخير لا يعتبر نفسه فيلسوفًا بقدر ما هو مفكر تطرَّقَ لموضوعاتٍ كانت تشغله هو بالخصوص، كان مزاجه دافعه للتنقيب في أنظمة الفكر وما تشتمل عليه من علاقات مفاهيمية تشكل شخصياتنا ورؤانا الحياتية، بما في ذلك أحاسيسنا المعلنة والمخفية، مُسطِّرًا بجانب التاريخ العريض، تاريخًا هامشيًّا.

مهما أسيء لفوكو وسارتر، فإنهما يظلان متمتعَيْنِ باحترامٍ كبيرٍ، نظرًا لتألقهما الفكري وتأثيرهما الثقافي الواسع. في مؤلف جنون الفلاسفة صورهما الكاتبان كطفلين أحمقين! غير أن محاولة متسرعة لتصغير عقليْ هذين الفيلسوفين تظلُّ صعبة، إن لم تكن ممتنعة عن مشاجرات الأحياء الشعبية اللفظية التي اعتمدها الكاتبان الإنجليزيان في مُقاربتهما السردية.

غير أن مقطعًا استوقفني خلال الفصلين المملّين عن كل من سارتر وفوكو، حول لقاء هذا الأخير: "في مناظرة مع الفيلسوف السياسي الأمريكي والناشط نعوم تشومسكي في التلفزيون الهولندي عام 1971، أوضح (فوكو) أنه كان مُستعدًا للاستغناء عن أي مبدأ للعدالة. وقد جادل تشومسكي في أن الدولة تحتاج أحيانًا للتحدي والمعارضة، لكن – للقيام بهذا – يحتاج المرء إلى مبدأ العدالة الخاص به. واستمر فوكو مؤكدًا أنه في صراع بين الطبقات، كان الفوز هو الهدف، بدلا من تحقيق العدالة، وأنه عندما تتولى طبقة الكادحين السلطة، ربما تمارس السلطة على من هزمتهم بطرُقٍ عنيفةٍ ودموية ــ ولا يرى أي اعتراض على هذا. لقد شعر تشومسكي أنه يناظر شخصًا لم يسكن الكون الأخلاقي نفسه"(1).

أعتقد أنه إما أن الكاتبين شاهدا المناظرة تحت تأثير مخدرات عالية الجودة، أو أنهما يعانيان من تأخُّر عقلي يسبب لهما صعوبة في الاستيعاب؛ فقد شاهدت المناظرة ــ وهي متوفرة بعدة ترجمات على موقع يوتيوب، وكنت على معرفة مسبقة بمفاهيم فوكو وتشومسكي، غير أنه في المناظرة بدى فوكو كشخصٍ يتحدث من المستقبل مقارنة بتشومسكي الذي يجترّ حديثًا مؤسساتيًا تقليديًا واهنا. بدى فوكو فعلًا أنه لا ينتمي لكون تشومسكي الذي يلزُمه تأهيل فلسفي. ولمن أراد رؤية أشمل لتفكير تشومسكي بإمكانه الاضطلاع على كتاب

"أصنام النظرية وأطياف الحرية" للمفكر علي حرب، الذي يُدرج تشومسكي ضمن فئة المثقفين المتجاوَزين الذين "يواجهون التحولات في المشهد العالمي، بعُدّة فكرية لم تعد تصلح رِهانًا، لا لفهم العالم ولا لتغيير الواقع، بعد أن أمست عُدَة مُستهلَكة أو صدئة تُستخدم للدفاع عن أوضاع مُترديةٍ أو مُهترئة" (مقدمة الكتاب).

من الملاحظ أن خِلافًا كان دائرًا بين فوكو وسارتر، خلافًا فكريًا لربما يعود بجذوره للاختلاف بين الأجيال (التغيّرات السياسية والثقافية بين جيلين،أو حتى الطموح المندفع والمتحرر للجيل اللاحق)، حيث يصرّح فوكو بقوله (مُشيرًا لجيلِه، جيل دون سِنّ العشرين خلال الحرب) بقوله:

"إننا مُغرقونَ في البعد عن الجيل السابق، جيل سارتر وميرلوبونتي جيل مجلة الأزمنة الحديثة، الذي شكّل قانوننا في التفكير ونموذجنا في الوجود.. لقد خبرنا جيل سارتر كجيلٍ شجاعٍ وكريمٍ بالتأكيد، جيل شغوف بالحياة والسياسة والوجود.. عمومًا يمكن القول إن سارتر، الذي وجد نفسه في مواجهة عالم تاريخي أراد تقليد البرجوازي. الذي لم يجد فيه نفسه، باعتبارهِ عبثيًا، إن سارتر أراد إظهار أن المعنى موجود، على عكس ذلك، في كل مكان. ولكن هذا التعبير ظَلّ جدّ مُلتَبِسٍ لديه، فالقول بــ«موجود معنى ما» كان، في الوقت نفسه، إثباتًا وأمرًا، كان توجيهًا.. إننا نفكّر داخل فكر مُغفَلٍ وقاهرٍ هو فِكْرُ

عصرٍ مُعيَّنٍ ولغةٍ معينةٍ، ولهذا الفكر وهذه اللغة قوانين التحويل الخاصة بهما. ومهمّة الفلسفة الحالية، كما هو الحال بالنسبة لجميع فروع البحث النظرية التي ذكرتها، تكمن في الكشف عن هذا الفكر السابق للفكر، وعن هذا النسق السابق لكل نسق، وهو الأساس الذي ينبع منه فكرنا «الحر» ويسطعُ فيه لحظة"(2).

أما سارتر بدوره فيقول:

"إن ما يقدّمه لنا فوكو في كتابه «الكلمات والأشياء» عبارة عن جيولوجيا، كما لاحظ ذلك كانترز جيدًا. أي تلك السلسلة من الطبقات المتتالية التي تشكّل «أرضيتنا». وتحدد كل واحدة من هذه الطبقات شروط إمكان قيام نمط معين من الأفكار كانت له الغلبة في مرحلةٍ من المراحل. إلاّ أن فوكو لا يخبرنا عن الأهم ــ ألا وهو كيف ينبني كل فكرٍ انطلاقًا من تلك الشروط، وكيف ينتقل الناس من فكرٍ إلى آخر. وهو ها هنا قد يحتاج إلى إدخال الممارسة (البراكسيس)، والتاريخ بالتالي، وهذا بالضبط ما يرفضه. أكيد أن منظوره يظل تاريخيًا. فهو يميز بين المراحل، السابق منها واللاحق. غير أنه يضع الفانوس السحري محل السينما. أي يضع تعاقبًا من لحظات السكون محل الحركة. إن الحفاوة التي قوبل بها كتابه تدل، بما فيه الكفاية، على أن الناس كانوا بانتظاره. والحال أن الفكر الأصيل حقًا، لا يجد أحدًا في انتظارِه أبدًا. وفوكو يمنح الناس ما كانوا في حاجةٍ إليه..

إن فوكو يهدف، بالطبع، من خلال هجومه على التاريخ إلى الهجوم على الماركسية. والمطلوب هو تشكيل أيديولوجية جديدة، تكون السّدّ الأخير الذي ما زال بمستطاع البرجوازية إقامته في وجه ماركس"(3).

يردّ فوكو عن ذلك:

"أوّلًا، سارتر رجل يُكمّل عملًا أدبيًا وفلسفيًّا وسياسيًّا بالغ الأهمية ما زال قيد الإنجاز، ما لا يترك له الوقت لقراءة كتابي، إنه لم يقرأه. ولهذا فإن ما يقوله عنه يبدو غير ذي علاقة به. أما الشيء الثاني فأقدّمه على هيئة اعتراف. هو أنني كنت عضوًا بالحزب الشيوعي في الماضي، آه! لبضعة أشهر أو أكثر بقليل. وأعرف أننا كنا نُصنّفُ سارتر يومها على أنه آخر متراس تقيمه الإمبريالية البرجوازية، وآخر حجر في الصّرح الذي، إلخ.. حسنًا. وإنني ألقى اليوم مُجددًا، وباستغرابٍ باعثٍ على الضحك، نفس الجملة صادرة عن سارتر، بعد خمسَ عشرة سنة. لنقل إننا دُرنا حول نفس المحور، أنا وهو"(4).

---

1 ــ جنون الفلاسفة.. ص283.

2 ــ الحوار/المعركة 1 (فوكو)، كتاب همّ الحقيقة، ترجمة: مصطفى المسناوي ومصطفى كمال ومحمد بولعيش؛ منشورت الاختلاف ط 1.

3 ــ الحوار/المعركة 2 (سارتر).. المصدر السابق.

4 ــ الحوار/المعركة 3 (فوكو).. المصدر السابق.

6 ـ جون جينيه

سولنج: لا أَحَدَ يُحِبُّنَا!

كليغ: هِي، هي تُحِبُّنَا. إنَّها خيّرةٌ. السيّدةُ خَيّرةٌ! السيّدة تُحِبُّنَا.

سولنج: تُحِبُّنَا كَمَا تُحِبُّ آراءها. وأكثر! كما تُحِبُّ الخَزَفَ الوَرْدِيَّ لِمِرْحاضِها. كَمَا تُحِبُّ بَالوُعَته.

¤ جون جينيه

1

ـــ القاضي: هل تَعْرِفُ ثَمَنَ الكتاب الذي سَرَقته؟

ـــ جينيه: لا اعرف سعره لكني أعرف قيمته.

2

"لست أكثر من حبٍّ

جنباتيَ بكاملها تحترقُ

إذا أنا حجبتُ النهار

عني يتراجعُ الظل

لا يلزم غير الهواء النقي

جسدي الجاف يهوي بالبرودة

متكئًا على الحائط

لي ألقُ البرق

قلبٌ شمسي

صياح الديك، التعب

لكن النوم أبدًا

يجسر على صرف أحلامي

مُتكتمًا برغباتي

أتبّث الصّمت

حينما العصافير النارية

من شجرتي تنطلق*(1).

أن تكتب هو أن ترفع كل المحظورات، ذلك هو شِعارِ الكاتب الفرنسي جون جينيه، الذي سمّاه سارتر "القديس" في كتاب عنه تجاوز الـ600 صفحة. غير أن لرمسيس عوض، الكاتب المصري، رأيًا آخر. حيث أدرج جون جينيه مع كتّابٍ آخرين في مؤلّفٍ تحت عنوان: "رُباعيات الشذوذ والإبداع"، وظننتُ انطلاقًا من رؤية العنوان، أن الكتاب سيتطرق لمبدعين عانوا ربما مشكلاتٍ نفسية وعقلية! فهناك مُغالطةٌ منتشرة مفادها أن الجنون والاضطراب يُحفّزان الإبداع، غير أن الأصح هو أن المجانين والمضطربين يُبدعون على الرغم من مشكلاتهم. لكن رمسيس هنا يشير للشذوذ الجنسي، أي المثلية، دون أن يأخذ بعين الاعتبار اعتماده (بالأساس) على ماذا؟

على أي منظور؟

من منظورٍ نفسي (الذي لا يعتبره شذوذا)؟

من منظور سياسي (حيث المثلية مُعترَفٌ بها قانونيًا في عدّة بلدان)؟

من منظور اجتماعيّ (حيث الموقف يختلف باختلاف الأيديولوجيات)؟

أم من منظوره الخاص (الذي يُجرّم المثلية)؟!

وانطلاقًا من رؤيته المجرِّمة والمتهِمة يعتبر أن عدم اضطلاع الناس على هذا الجانب الشاذ لبعض الروائيين والشعراء المؤثّرين، طامّةٌ كبرى!

فلديه:"يرجع هذا الوضع العجيب (يقصد الجهل بالميول النفسية-الجنسية الخاصة بالروائي أو الشاعر) بطبيعة الحال إلى أننا نتحاشى أن نذكر أمام الطَلَبة ما قد يخدش حياءهم"(2)، ويبدو لي أنه لا يدري أن غالبية مَنْ ساهموا في ثراء الإنسان كانت لديهم ميول جنسية، منذ اليونان، مرورا بالعرب، إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، فهل سيغير كشف هذه الميول، استغناء الناس عن اختراعاتهم وإنتاجاتهم؟! وبماذا سيُفيد هذا الكشف (سوى صبّ الكُرهِ من جانب القوى المحافظة)؟

ورغم أنه يذكر أن دافعه لنشر الكتاب، هو تبيان أن الكاتب العربي ليس بعدُ متحررًا فيما يتعلق بالكتابة (أدب الاعتراف) مقارنة بالكاتب الغربي، فإنه لمن السهل القبض على اتهاماته الرجعية بين سطور الكتاب، مُنطلقًا بجون جينيه في فصل طويل يشكّل هذا الفصل بحد ذاته كتابًا عن جينيه.

عَنْوَن المقطع الخاص بوقوع جينيه في الغرام بـــ"حُبٌ شاذٌ يدومُ إلى الأبد"، أليس هذا اتهامًا في حَدِّ ذاته؟ فبالإمكان عنونته بـــ"حب مثلي.." لو كانت الرغبة هي تفريقه عن الحب الغيري، وليس تأطيره أخلاقيًا، انطلاقًا من مرجعية إيتيقية خاصة!

الأكثر من ذلك هو أن رمسيس يعاني إشكاليةً بخصوص الجندر (الفصل الحاد بين ما هو ذكوري وأنثوي!) حيث لا يتوانى عن استعمال مفاهيم مُلتبسةٍ مثل أن "شابًّا مُخنّثا اسمه مارسيل باتيفوليه كان أثناء وجوده في هذا الملهى يقرأ الصحيفة لشابٍّ آخر يُدعى إرنستين.. وأيضًا كانت هناك شواهد عديدة على تخنّثه (يقصد جينيه) حتى في شبابه ما يتناقض مع مظاهر الرجولة التي اكتسبها في حياته اللاحقة (ما معنى هذا الكلام؟!) ومِنْ دلائل تخنّثه استمتاعه العظيم بصحبة الفتيات والنساء وإظهاره ما يُظهرن من اهتمام مثل تصميم الفساتين وخَبز الفطائر وتنظيم واختراع أكلات جديدة، لدرجة أن أحد سكان قريته قال عنه إن له عقلية نسائية"(3).

أحد السكان قال عنه عقلية نسائية، فهذا يعني أن له عقلية نسائية؟

ما العقلية النسائية سواء من منظور هذا الجار (الذي اعتبره رمسيس كهرمس الناطق بالحقيقة!) أو من منظور رمسيس الذي ربما يجب على الإنسان أن يعيش في مؤسسةٍ عسكرية حتى لا يوصم

بالتخنّث! فبرؤيته، الاهتمام بالمواضيع النسائية يجعلك شخصية مخنّثة!
ما ماهية الشخصية المخنّثة هنا؟!

ورغم أن الكاتب يذكر موقفًا يمكن أن يصحح طريقة معالجته للمسائل الأدبية ــ إلا أنه تغاضى عنه مدافعًا عن تصوره الخاص الضيق حول الطبيعة البشرية. فيتدخل جون كوكتو، الكاتب المسرحي الفرنسي الشهير، في قضية جنائية لجينيه (الذي كان خرّيج سجون) تم عرضه على طبيب نفسي لمعاينة حالته، يصف رمسيس الموقف مع وصفه للطبيب بأنه الأبرز في المجال النفسي بتلك الفترة ــ فيقول:

"قام كلود بدراسةِ حالتِه دراسة دقيقة مُفصّلةً، ووقف كل ظروفه ومُلابساته. وأشار كلود في تقريره إلى سعة اضطلاع المتهم غير العادية في مجال الأدب، وسجّلَ إعجاب جينيه بعبقرية كوكبة من الشعراء الفرنسيين تضم فيلون وفيرلين وبودلير ومالارميه (وللإشارة فيرلين جمعته كذلك علاقة مثلية برامبو، لحسن الحظ أنهما انفلتا من رمسيس وإلا لكانا تعرّضا لسرد اتهامي جارح هُما كذلك!)... وأيضًا أشار التقرير إلى الأهمية القصوى التي يعلّقها المتهم على حرية التعبير عن أفكاره مهما بدت غريبة في أعين الآخرين. وذكر التقرير أن جينيه ليس مولودًا بالشرِّ والانحراف. كل ما هنالك أنه يستسلم لنوازعه اللواطية دون أن يحس فيها بأدنى عيبٍ أو غضاضة. وعندما

سُئل المتهم عن سببِ سرقة ديوان فيرلين بالذات، أجاب بقوله إنه رأى فيه صورة لشاب مليح ودَّ لو أنه أقام علاقة لوطية معه. ولم يجد الطبيب وصفًا لحالته غير «الجنون الأخلاقي». ونبّه البروفيسور كلود العدالة كي تشتدَّ مع هذا الصنف من الناس، ولكن عقابها لا يجب أن يكون أقسى مما ينبغي طالما أنهم لا يتمادون في خروجهم على أعراف المجتمع. وأنهى الطبيب تقريره كما يلي:

1 ــ إن جينيه ليس مجنونًا وأنه لا يعاني أيةَ انحرافاتٍ خطيرة في قُدراته العقلية من شأنها أن تستوجب عِقابًا كبيرًا.

2 ــ أنه لم يكن يعاني الفوضى الذهنية عند إتيانه بالأفعال المنسوبة إليه. ومن ثم فعليه الاعتراف بهذه الأفعال أمام المحكمة. غير أنه يمكن تصنيفُه ضمن الأفراد غير المتزنين وغير المتوائمين ممن يعانون الجنون الأخلاقي، أي ضمن الناس ذوي الإرادة الضعيفة والحاسة الأخلاقية الضعيفة. والقوى العقلية لمثل هؤلاء الناس ليست على درجةٍ من النشاط الكافي كي يسمح لهم بالتمييز بين الصواب والخطأ. كما هو الحال مع الشخص العادي. وعلى أية حال يجب اعتباره مسئولًا عن تطبيق العقاب المنسوب إليه.

3 ــ ينبغي وصف جينيه بأنه شخص ينتمي إلى ذلك الصِّنف من الناس الذين يمكن تخفيف المسئولية عنهم بدرجة ضئيلة"(4).

إذا كان الطبيب قد أنهى تقريره، فإن رمسيس استمر في محاكمته

أخلاقية المتخفية، لدرجة أنه ترجم مقاطعَ لسارتر (وجينيه نفسه) حينما يأتي ذكر مصطلح **homosexualité** بـ"الشذوذ الجنسي"! ولو أنه أجبر نفسه على ترجمة الكلمة بقاموس لُغويٍّ أو حتى موقع غوغل للترجمة (بدل الاعتماد على أحكامه)، سيدرك أن استعمالها الفرنسي لا علاقة له بما درج في الأحكام العربية الرجعية! هل يعقل أن يتحدث كاتب عن تلك الظاهرة التي تخصُّه أو ميوله الجنسية باعتبارها شُذوذا؟! كيف يعقل أن في دفاعه عن نفسه وميوله يستخدم مصطلحات تُهاجمُه؟! ما يعني أن الأصح وكأمانة فكرية ترجمتها لـ"المثلية" كما في السياق الفرنسي.

سواء كنتَ مِثْليًّا أو غيريا أو حتى آكل لحوم البشر، عندما تُبدع.. أنتَ تُبدع.

"أجيء للحبِّ كما تدخل الماء
راحتا يدي للأمام، أعمى، تنهدات
حضورك في نفسي يملؤني بالهواء
حيث حضورك مُرهقٌ، أبدي
أحبك...

السماء قد تستيقظ، النجوم تزهر

الأزهار لن تتحسر

ومروج العشب الأسود تستقبل الندى

حيث الصباح يشرب

الجرس قد يدق: أنا وحدي من سيموت

آه تعالي يا سماء وردتي، آه سلّتي الشقراء!

زوري في ليلتك محكومكِ بالموت

انزعي اللحم، اقتلي، تسلّقي، عُضّي

لكن تعالي! ضعي خدّك على رأسي

لم ننتهِ بعدُ من حديثِنا عن الحب

لم ننتهِ بعدُ من تدخين سجائرنا

قد نسأل لما المحاكم

تتّهم قاتلًا جميلًا يُبهِتُ النهار

تعال يا حبًا لفمي، افتح أبوابك يا حب

اعبُر الممرات، انزل، اخطُ بخفّة

حلّق فوق الدّرج بمرونة تفوق الراعي

مدعومًا أكثر بالهواء كتحليق أوراقٍ ميّتة

آه أعبر الجُدران،

حتى لو تطلّب الأمر السير على حواف السقوف، المحيطات

احجب الضوء،

استخدم التهديد، استخدم الدعاء

لكن تعالَ، آه فرقاطتي*، ساعة قبل موتي"(5).

---

1 ـ Le Condamné à mort et autres poèmes, suivi de " Le Funambule", Jean Genet

2 ـ رُباعيات الشذوذ والإبداع، رمسيس عوض؛ سينا للنشر والانتشار العربي ط 1.. المقدمة.

3 ـ رُباعيات الشذوذ والإبداع.. ص20.

4 ـ رُباعيات الشذوذ والإبداع.. ص44 و45.

*فرقاطة: اسم يُطلقُ على نوع من السفن الحربية السريعة.

5 ـ Le Condamné à mort et autres poèmes, suivi de " Le Funambule", Jean Genet

7 ـ مُطارَدَةُ الفَلاسِفَة



الآراءُ لا يُمكِنُها أن تحيا إن لم يكن للواحِدِ فُرْصَةٌ للدِّفاعِ عَنْهَا

¤ توماس مان



تجرّأ على أن تكون نفسك، شعار الكاتب الفرنسي أندريه جيد، الذي عدّه رمسيس عوض – مع مارسيل بروست وتوماس مان – من الروائيين الشاذين جنسيًّا، تكرر نفس الفصل مع كل روائي، لا تتبدّل سوى الأسماء! غير أن الأكثر من ذلك هو تمييز رمسيس عوض للكتّاب انطلاقًا من ميولهم الجنسية! فبالاستعمال الدارج للتعريف بالكتّاب انطلاقًا من مواطنهم، على سبيل المثال.. يقول الكتاب الأمريكي.. أما الكاتب الفرنسي.. وهو كاتب أرجنتيني ـــ لرمسيس عوض تعريف آخر، فهو يدمج الميول، فيتحدث عن الكاتب الفلاني اللواطي.. الكاتب الفلاني وهو أيضًا لوطي.. الكاتب الفلاني الذي يشاركه أيضا لواطه ـــ فكيف سيصبح وضع النقد الأدبي، باستعمال النقاد لتعريفات مثل.. وقالت الكاتبة السحاقية.. المفكر اللواطي.. أشار الكاتب السوّي الميول... على غرار الكتابات الرجعية التي تستعمل نفس الممارسة بخصوص عقائد الكتّاب وتركّز على التفرقات

لعنصرية الدينية المتهمة.. كاتب مسيحي.. الكاتب اليهودي (ليس فقط بغرض تعريفي، إنما لما تتضمنه من تلميح لعقيدته تدل على نقص معرفته مهما بلغت سعة اضطلاعه وجدية طرحه، طالما أن المعرفة والحقيقة مَنوطةٌ بعقيدتنا، عقيدة الواصف)!

إن أكثر ما أثار استغرابي، هو دفاع رمسيس عوض ضد ما يُمارسُهُ! يدافع عن حرية التعبير مقابل التأطير الأخلاقي المندسّ لمن يعبرّون (أم أنها حرية التعبير على الهوى، الدفاع عن تلك التي تلائم الذوق الخاص؟). يقول في حديث له:

"للأسف نحن نعاني حَملاتِ تفتيش في الضمائر والعقول، وتضييقًا على الحريات منذ قديم الأزل، فهناك عصر، فيه كل شيء صاعدٌ في السياسة وفي الفكر وفي الفن مثل عصر الخليفة المأمون، وهناك عُصور كانت استبداديةً مُغلقةً وجاهلةً، فكان كل شيء في هبوط مثل العصر العثماني، ومن الناحية الثقافية، لنا أكثر من خمسين عامًا نحن أقرب إلى العصر العثماني من غيره من العصور بسبب أزمة الحريات. كما أن كتاباتي تسدُّ العديد من الفراغات في الثقافة العربية وفي مُقدمتها معسكرات الاعتقال النازية التي تعرّض فيها اليهود للتنكيل الوحشي، حيث اخترع النظام النازي وسيلة اقتصادية وفعالة لقتل أكبر عدد من اليهود، يتمثل في حشرهم في عربة متحركة تنبعث منها الغازات السامة وهو الأسلوب الناجح الذي اتبعه النازيون أثناء تقدمهم

وزحفهم على الاتحاد السوفييتي. ويقال إن النظام النازي أمر باستخدام عربات الغاز لقتل يهود فلسطين، لكن هزيمة رومل (ثعلب الصحراء) في العلمين بالصحراء الغربية المصرية، حالت دون تنفيذ هذه الخطة.

كما يذهب الدارسون إلى أن استحداث النظام النازي لبرنامج القتل الرحيم المعروفة بـ ط4، أي الإجهاز على الألمان ذوي العاهات العقلية والجسدية قد مهّد الطريق لنشوء فكرة إبادة ألمانيا النازية ليهود أوروبا. وفي كتاب هتلر المعروف (كفاحي) نراه يعلن بكل جلاءٍ ووضوحٍ أنه ليس هناك مكانٌ للضعفاء في الدولة النازية، حيث يقول الفوهرر بالحرف الواحد في كتابه المشار إليه:

«سوف تقومُ الأنواع القوية بطرد الأنواع الضعيفة، لأن الرغبة في الحياة في شكلها النهائي سوف تُحطّمُ القيود المضحكة المفروضة على مَنْ يسمى بالفرد العطوف الرحيم لتفسح الطريق أمام الطبيعة البشرية لتحطم كل ما هو ضعيف وتمكين الأقوياء من أن تكون لهم الغلبة».

وفي 14 تموز (يوليوز) 1933 أصدر النظام النازي مرسومًا يمنع الأفراد الذين يعانون العيوب الوراثية والخلقية من الإنجاب، وهو الأمر الذي مكّنهم من مزاولة القتل الرحيم. وقد تناولت هذه الجرائم بالتفصيل في كتابي «معسكر اعتقال تريبلينكا».

كما عملت محاكم التفتيش في كثير من الأراضي الأوروبية، بخاصة في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، ثم انتقلت إلى أمريكا الجنوبية لحوالي ثمانية قرون، وأشعلت محاكم التفتيش حروبًا صليبية على الهراطقة داخل أوروبا وأميركا الجنوبية، كما اشتعلت الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا لعدة عقود، كذلك فإن كنائس الشرق الأرثوذكسية – بما فيها الكنيسة المصرية – التي تقول بالطبيعة الواحدة للمسيح هي أيضًا مُهرطِقة في نظر الكنيسة الكاثوليكية، حيث بدأت محاكم التفتيش بمندوبين عن البابا، ثم توسعت وتوحشت حتى أصبح لها سلطة تنافس سلطان البابا والأباطرة والملوك... وربما اصطدمت بها وانتصرت عليها أحيانًا، وأشعلت محاكم التفتيش عدة حروب صليبية على المهرطقين، دعت لها الكنيسة، وقامت بها السلطات الزمنية عن اقتناعٍ أحيانًا، وتحت تهديد من الكنيسة أحيانًا أخرى، ولتحقيق مصالح أحيانًا ثالثة، وربما اختلط بعض من كل ذلك. فمحاكم التفتيش والحروب الصليبية على المُهرطقين في جنوب فرنسا، أعادت الجنوب للكاثوليكية، وألحقت جنوب فرنسا بشمالها. ورصدت هذه الحوادث في كتابي «من أوراق الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في فرنسا»*(1).

ورغم حديث الأنوار هذا، ينفلت منه القول في مقدمة كتابه التصنيفي لَملاحدة الغرب – حسب تصوّره – ليكشف عن ممارسته التفتيشية حيث يوضّح أن:

"الإلحاد ليس الكلمة الأخيرة، ويمكن للمؤمن الذكي أن يستوعب مجادلاته، ويتمثلّها قبل أن يتصدى لها"(2). وهي رؤية حربية لا تزال ضمن حقبة الجدالات البزنطية!

العالم يعزز التشاركات الإنسانية وتطوير التواصُل عبر التكنولوجيا، ورمسيس قابع في صنع طاولة اجتماع لدحض النظريات الهرطوقية ـــ كما في مناظرات كنائس أوروبا القديمة!

المؤمن الذكي بحاجة للأكل، للوظيفة، للزواج، للبيت، لمعاشٍ يحميه! وكأنه تجاوز مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية، ووزار كل دول العالم بمتاحفها ومآثرها، ولم يتبقَ له إلا التعليق على نظرية "الجين الأناني" لريشارد دوكنز، وعرض نواقصها بمقدمة حول كتاب جماعي (يشاركه فيه أصدقاؤه المؤمنون الأذكياء) ينشره من ماله الخاص!

كتب أندريه جيد في يومياته: "حياة الإنسان هي صورته.. يمكن القول إني أرى ذلك كصدق معكوس (للفنان): يلزم، لا أن يروي حياته كما عاشها، لكن أن يعيشها كما يرويها. بشكل آخر أقول: أن يصير بورتريه الخاص هو حياته، أن يندمج بالبورتريه المثالي الذي يتمنّاه؛ ببساطة، أن يكون ما يريد".

. المبدع سماء، مفتوحة على رهاناته.

1

الزمن يمحو كل شيء

مثلما يمحو الموج

أعمال الأطفال على الرمل المصقول

سننسى هذه الكلمات الدقيقة والأمواج خلفها

حيث كلٌّ منا يستشعرُ الأبدية

الزمن يمحو كل شيء

لا يطفئ عينيه

أكانتا من الجوهر أو النجم أو الماء الصافي؟

جميلتان كما لو أنهما بالسماء أو لدى الجواهري

تشعلان لأجلنا نارًا حزينة كانت أم سعيدة.."(3).

2

"سماؤك دائمًا زرقاء قليلًا

الصباح غالبًا ممطر قليلًا

دوردريخت* مكان جميل

قبر أوهامي العزيزة

عندما أحاولُ رسم قنواتك،

أسطحك، برج جرَسك

أشعر كما لو أني أحبُّ أراضيك

غير أن شمسك وأجراسك

يشحبون بسرعة

للقدّاس الأكبر والخبز الحلى

يلمع برج جرسك

سماؤك الزرقاء غالبًا ممطرة

لكن بالأدنى دائمًا

تظل قليلًا زرقاء"(4).

---

1 ــ رمسيس عوض: هذا المجمع الغريب لا يريد أن يضم الباحثين. خالد بيومي؛ موقع الحياة.. بتاريخ 12 يونيو 2015.

2 ــ ملحدون محدثون ومعاصرون.. المقدمة.

3 ــ Marcel Proust, Je contemple souvent le ciel de ma mémoire

*دوردريخت: مدينة وبلدية غرب هولندا، في مقاطعة جنوب هولندا. وتعتبر رابع أكبر مدينة في المقاطعة، وتبلغ مساحتها 79 كلم مربعًا، تعتبر المدينة جزءًا من راندستاد، ودوردريخت هي أقدم مدينة في مقاطعة هولندا.

4 ــ Marcel Proust, Dordrecht

8 ـ مُطارَدَةُ الفَيلسُوفاتِ

النِّساءُ مُفرطاتٌ: إنَّهنَّ أفضلُ أو أَسْوأُ مِنَ الرِّجالِ

¤ **جون دو لا برويير**



لم تنتصر الفلسفة للنساء، لقد ظلت صرحًا ذُكوريًا، من انتصر للنساء هم الشعراء. فحيث يقول الفيلسوف الفرنسي جون دو لا برويير إن "الفلسفة، تجعلنا نعيش دون حاجة لامرأة أو تجعلنا نتحمّل تلك التي تعيش معنا"، كأن الفلسفة امتياز خاصٌ بالذكور (وهو التقليد المتوارث منذ الإغريق)، يجد الشاعر مالكوم دو شازال بأن "المرأة تجعلنا شعراء، الطفل من يجعلنا فلاسفة". لكن نفس التأطير لا يتغيّر بالعمق! وهو الانطباع التاريخي الذي يُلحق العقل بالرجل، لتأتي المرأة بعاطفتها في مرتبة أدنى. دافع أندري جيد عن هذه النقطة، فيما يتعلّق بالأساس المغلوط الذي يرى أن الذكر هو الذي يمثل النوع، والأنثى صِنْفٌ تابع له، بتوضيح أن الأنثى – بجُلّ الكائنات، وبتاريخ تطور الأنواع – هي التي تمثل النوع، ويأتي الذكر كملحقٍ أو مكمّل.

ما يعني أن الإنسان أضفى بنيته الرمزية على مغالطاته المفهومية، ليمنح لتقسيماته اللغوية والتصوّرية بُعدًا حيويًا وطبيعيًا يدعم اختلاقه الأنطولوجي للأنظمة (وتراتبات) الاجتماعية، باعتبارها كونية

الأساس! وليس مُقاربات عقلية. مقابل هذا المعطى الماضوي، يأتي الشاعر الفرنسي لويس أراغون ليقول إن: "مستقبل الرجل هي المرأة. إنها لون روحه".

تأسّف الكاتبان الإنجليزيان صاحبا مؤلّف "جنون الفلاسفة"، لعدم توفرهما على تفاصيل كافية لفيلسوفات حين يقومان بعرض مساوئهن هن كذلك ــ انطلاقًا من نفس المنظور الدوغمائي السابق للفلسفة الذكورية. كتبا يقولان:

"لم ندرج أية نساء بين الفلاسفة المخطئين لسبب وجيه. رغم أنه ربما للنساء فلسفات مدروسة مطوّلًا بشكل خاص، إلا أنه لم يكن لديهن، حتى مؤخرًا، ظهور عام في هذا المجال بسبب العوامل التاريخية والثقافية المعتادة ــ مكانة النساء المنخفضة في العالم القديم.. إن الفلسفة بقيت طويلًا كمعقل للغرور الذكوري، الذي يسيطر عليه كارهو النساء مثل أرسطو، وروسو، وشوبنهاور.. لذلك ليس لدينا سبب للاعتقاد أن الفيلسوفات، لو أن عددهن كان يمثل عدد الفلاسفة الذكور، لم يكن سيساهمن بالقدر نفسه بمجموع الحماقة البشرية"(1).

وكأن الفلسفة هي التي تنتج الحماقة البشرية؟

وكأنها لا تنتج شيئًا ولا تفيد في شيء سوى الحماقة؟

هناك فرق بين أن تضاهي الفيلسوفات الفلاسفة بالعدد، وأن يتم

التّغطية على الفيلسوفات مقابل الفلاسفة.

عندما تتعرض لحياة الآخرين، وتجريحهم في بعض الأحيان، ثم تأتي لتبرير تصرفك بأساس أن له أهدافًا إيجابية! فإن الأمر يُمثّل عرَضًا لعُقدة ذنب. يمكن أن نلمح ذلك من خلال سرد الكاتبين الإنجليزيين الختامي:

"هناك طبعًا جانب آخر للقصة. إن كنا قد قدّمنا ثمانية فلاسفة، يسيئون التصرف بشكل يسّيء إلى صورهم، فقد فعلنا هذا فقط كي نوضّح الفكرة العامة التي تفيد أن حياة المنطق لا تؤدي بالضرورة إلى حياة منطقية. لم تكن أخوية الفلسفة منيعة على الأخطاء البشرية، ولا يجب أن نتوقع أن من كانت أفكارهم جليلة، فإن عواطفهم وجنسانيتهم جليلة أيضًا (لم يسبق لي أن قرأت مثل هذا الخلط المنهجي المليء بالمُغالطات، شبيه باعترافات المستجوَبين التبريزية الملتوية!).

مهما تكن الحماقات التي كُشفت في حياتهم، فإن مساهمتهم للفكر الإنساني والفهم الذاتي كانت هائلة (يا سلام!)"(2).

ومن هناك تم شنٌّ تعليقات سريعة تثني على تلك المجموعة من الفلاسفة، بعدما قاما بتشريحهما بالصفحات السابقة بعدّاهما النّتنة والعتيقة!

فروسو مؤسِّس مبادئ، وشوبنهاور مُقنع، ونيتشه محرِّر، وراسل محلّل ممتاز، وويتغنشتاين صرحٌ فكري، وهايدغر مفكّر عميق، وسارتر عملاق، وفوكو ثاقب النظر.

أما أنا كقارئ: ماذا استفدتُ من الكتاب؟

1 ـ النص المشوّش انعكاس لشخصية الكاتب المشوّشة!

2 ـ بهدف الشهرة والربح، يمكن أن يسلك الكاتب أي طريق، حتى لوْ تعلّق الأمر بالمتاجرة بأيام حياتك: بما في ذلك تضخيم ما يودُّ تضخيمه، وحجب ما يودُّ حجبه.

---

1 ـ جنون الفلاسفة.. ص267 و268.

2 ـ جنون الفلاسفة.. ص295.

9 ـ سيغموند فرويد



بالأَزْمِنَةِ السَّحِيقَة، الكلماتُ والسِّحرُ كانا نَفْسَ الشَّيْءِ

¤ سيغموند فرويد

بالنسبة لفرويد، مؤسس نظرية التحليل النفسي، فإن الانتقادات لم تأتِ فقط من جانب المخالفين، بل أيضًا من جانب الداعمين له، بمن فيهم أصدقاؤه كألفرد أدلر وكارل يونغ. ويُعتبر فرويد من أكثر الكتّاب الذين تعرضوا للانتقاد والتشويه والسخرية، وكذلك الدعم والاهتمام والتقديس (بشكل كبير بالمقابل). لقد عايشَ فرويد أسوأ الانتقادات في حياته، وطبّق نظريته على نفسه، كما طُبقّت نظريته عليه من قبل جماعته! من أدلر إلى رانك، لربما تنطبق عليه قصيدة معن بن أوس المزني، حيث يقول:

أُعلّمه الرماية كل يوم * فلما اشتدَّ ساعده رماني

أُعلّمه الفتوة كل وقتٍ * فلما طرّ شاربه جفاني

وكم علّمته نظم القوافي * فلمّا قال قافية هَجَاني.

غير أن الأمر ليس على هذه الصورة، ففرويد كان متمسكًا بنظريته ومُتصلّبا أمام أي تأويلات مُغايرة ومتجاوزه لمنهجه ومفاهيمه. بذلك تم اعتبار أن نظريته لا تعدو أكثر من انعكاس فلسفيّ لحياته، واكتشافه لمركب الأوديب ليس سوى تفكيك لبنيته الفكرية الذاتية: ساعيًا بذلك إسقاطها على تاريخ البشرية.

وبعيدًا عن هذا المنظور، يظلّ فرويد علامةً بارزة في تاريخ الفكر، قراءة فرويد ليس فقط أنها تفتح أمامك رؤى جديدة نحو الطبيعة البّشرية، بل إنها تغيّرك ــ بالرغم من مبالغاته السريالية. منهج فرويد التحليلي، رائع، غير أن تفاسيرَه صبيانيةٌ نوعا ما (يغلب عليها الطابع الأسطوري الذي سعى لتشريحه وانتقاده).

توالت الانتقادات والتجريحات بعد حياته، غير أن منهجه اخذ بالاتساع والتغلغل في جل الميادين الثقافية والفنية. فجاء كتاب "أفول صنم" للفرنسي ميشال أونفري ــ بسياق "جنون الفلاسفة" ــ كحلقةٍ أخرى في سلسلة تجريح وتشويه سيرة ومنهج فرويد. مئات الصفحات سعى من خلالها تحطيم صنم فرويد بتمثال نيتشه (باعتبار أن نيتشه أستاذ فرويد نظريًا!).

بدا أونفري – الذي نشب على تقديس ماركس ونيتشه وفرويد (ثالوث شبابه) – ودَرَجَ على ترويج التقشف الكلبي (كفلسفة رديئة لا توائم العصر) بمفاهيم معلّبة تعد بسعادة بحجم كيس شيبس.. بدا

أنه يقوم بدغدغة فرويد بأصابعه الصغيرة، ليَضحك نيتشه بالُمقابل!

وصف الكاتب الفرنسي برنار هنري ليفي زميله أونفري، بالسّخف والتبسيطية. جاكوب روغوزينسكي اتّهمه بالاستعراضية. المحلل النفسي شارل ميلمان قال عنه: "يبدو أنه يريد القول إن فرويد كان في نهاية الأمر رجلًا كسواه، له ميوله وعيوبه ومزاياه.. ما الذي يأخذه عليه فعليًّا؟ أنه لم يكن إلهًا؟ حسنًا، لم يكن إلهًا، لا". أما الأنثربولوجي ساموئيل ليزي فيرى أن "الاهتمام لَم يعد ينصبّ على الأفكار بل على الشخص".

طُبُّ الأعصاب بصدامِه مع طُرقٍ مسدودة ــ في سعيه لتوسيع فهم العقل البشري، انعطف بدراساته نحو فرويد لبحثِ أبرز مفاهيمه، كخطوة تقدمية بهذا الميدان التجريبي.

بالثمانينيات تم اعتبار التحليل النفسي من منظور طب الأعصاب: ركُامٌ سخيف من التأمل الفلسفي. غير أن الأمر تغير مع جماعة التحليل النفسي العصبي، من ضمنهم طبيب الأعصاب مارك سولمز الـ"مقتنع بأن إعادة دمج التحليل النفسي بعلم الأعصاب أمر جد مهم، الطريقة الوحيدة وغير المسبوقة التي ستمكنُنا من فهم الدماغ.

المسألة لا تتعلق بإثبات أن فرويد كان على حق، بل بتطبيق تقنيات البيولوجيا الحديثة للتنقيب عن بعض أكثر مفاهيمه رسوخًا. لوضع دراسة العقل كسند لدراسة الدماغ، يقول سولمز «إن التحليل

النفسي العصبي ما هو إلا: البحث عن كيفية ارتباط الجوهر الأساسي لتكوّن الشخصية بأنسجة وفيزيولوجية وتشريحية وكيميائية الدماغ». التحليل النفسي عبارة عن فهم عميق، نظرية مثيرة عن المشاعر، عن تداعيات اللا وعي وعن طبيعة العقل البشري. علم الأعصاب لديه القدرة على اختبار هذه المفاهيم انطلاقًا من أدوات متمكنة وتجارب حاسمة. معًا، كلا المجالين قد يتمكن بالنهاية من الإجابة عن أصعب سؤال بالنسبة لهما: كيف تنبثق الأحلام، التخيّلات، الذكريات والأحاسيس ـــ التداعيات الذاتية ـــ من خلال هذه القطعة الكبيرة من اللحم؟"(1).

فـــ"بالنسبة للعلاج النفسي، والتحليل النفسي، فإنهما يركزان على المشاعر والمعتقدات الصريحة عن العالم. على عكس الأشكال المختزلة للاستشارات التي صارت شائعة اليوم. كذلك يقومان بالكشف عن الأفكار والأحاسيس اللا واعية، الرغبات، الذكريات ومختلف التداعيات الشخصية التي تتحرك تحت السطح"(2).

كتبت الصحفية مات ككفوان لمجلة ديسكوفر، مُلخصًا يعرض ملامح هذه النظرية التي تدرس مفاهيم فرويد تحت ضوء طب الأعصاب:

"دراسة التأثيرات التي تخلّفها إصابة بالدماغ، على الأفكار والسلوك، هي من ضمن أقدم التقنيات بالطب النفسي. سولمز بدأ

بشكل تنظيمي بتقييم هلاوس وأوهام مرضاه تحت ضوء المفاهيم الفرويدية كالإنكار وتلبية الرغبة. بإضافة بسيطة، تقترح هاتان الفكرتان أننا نفضل رؤية العالم كما نريد، لا كما هو عليه بالحقيقة. مواجهة الحقائق أمر صعب، يتطلب ذلك بذل جهد عقلي مستمر وأداءً عاليا للدماغ. فالإنسان الذي يعجز عن تحمل هذه الجهود ينتهي به الأمر كائنًا بعالم وهمي.

العديد من الأدمغة الخاصة بمرضى سولمز، لم تكن بمستوى هذه المهمة. بعضها تعرض لإصابات وتمزقات شريانية، نوع شائع من السكتات الدماغية حيث تتضرر بالدماغ تلك المناطق الخاصة ببناء تصوُّرات حول المكان والزمان. المريض الحائر ينسج قصصًا مضحكة لتفسير العالم، حالة تسمى باضطراب فقدان الذاكرة. بالنسبة لسولمز كان الأمر مذهلًا. فالعقل الذي يتوارى خلف الإصابة الدماغية يمكن أن نراه بتفاصيل تلك التفاسير الملتوية.

على سبيل المثال، أحد المرضى، مهندس إلكتروني سابق، دائمًا يستقبل سولمز على اعتبار أنه مهندس زميل. أخبر سولمز وباقي أطبائه أنه امتلك سيارة بورش وفيراري. وكان من عادته أن يستأذن مُقاطعًا الزيارات الطبية من أجل أن يلعب السكواتش. «أين هي البيرة الخاصة بي؟» كان يسأل من يفحصونه، خلال بحثه عن كوب هناك بقاعة الفحص. من وجهة نظر طبيب أعصاب، مشكلته هي تمدد الأوعية الدموية إثر التمزق الشرياني ما أدى للإضرار بفصه الجبهي،

فضعُفت قدرته على رصد ذكرياته وضبطها. من زاوية تحليلية نفسية نقول، أنه كان يتصرف حسب أوهامه ــ فقد كان خبيرًا محترمًا أكثر منه مريضًا بإصابة دماغية، ذلك أنه كان يقود سيارات سريعة، ويجلس بالبار. كلا التفسيرين يتضمنان جزءًا من الحقيقة. دماغه كان مصابًا بالفعل، والآن عقله يركض بعيدًا مع أحلام يومية عن الحرية والمتعة.

مريض آخر عبّر لسولمز عن سعادته بقدوم صديق قديم لزيارته ــ مفاجأة رائعة، يقول، عن الرجل الذي سبق له أن توفي قبل عقود: آخرون، حدث لهم تشلل جزئي نتيجة إصابة لجهة من الدماغ، فنفوا تأثرهم بذلك. كانوا جدّ متعبين لتحريك أطرافهم، كما يقولون، أو أنهم فسروا لسولمز بأنّ أن أذرعهم وأرجلهم الساكنة تعود لأناس آخرين غيرهم. ولم يكونوا بكاذبين عن وعي (قصد). كانوا غير مُدركين للمشكلة، وهي حالة تُسمى عمه العاهة (عجز المريض عن الوعي بعجزه).

باعتقاد سولمز، فإن فالتفسير الطبي التقليدي، الذي يرى بأن هذا النوع من الإصابة الدماغية يسبب عجزًا عن التنبه، لا يقدم تفسيرًا عن قدرة المرضى على إنتاج تفاسير سريالية لشللهم. التحليل النفسي يقدم تفسيرًا منطقيًا واضحًا: بالأحرى حقائق واقعية، فالمرضى بدون وعي يختارون العيش حسب أوهامهم كما هي بشكل مطلق. إن مضمون هذه الأوهام المرضية عبارة عن رغبات الإنسان العادي:

الكفاءة، الصحة، والوجود بالبيت. لقد كان ذلك مؤثرًا ومذهلًا. «كان هناك الكثير من التراجيديا والألم، غير أنه من وجهة نظر علمية، فقد كان ذلك شبيهًا بكونك طفلًا في متجر للألعاب»، يقول سولمز:

ساعدته تبصُّراته كذلك في ممارساته السريرية. ذلك لأنه فكّر في المشاعر التي يمكن أن تقبع خلف أوهام المرضى، فقد كان يستطيع تفسير سلوكياتهم الغريبة لعائلاتهم والتحدث مع مرضاه بطريقة تساعد على تهدئتهم. مفسرًا الأوهام الغريبة لمرضاه كتخيّلات عاطفية ــ أنت ترغبُ بالعيش بتلك الطريقة لأنك مذعورٌ ــ ما يمكن أحيانًا من اقتلاع ارتباكهم. برفقة بعض الزملاء.

أجرى سولمز دراسة منهجية عن محادثات المهندس، فوجد – بشكل واضح – أنها إيجابية أو رغبوية (متمنيات). فبدأ بعقد التقارير الذاتية لمرضاه مع تشخيصهم الموضوعي، لتنطلق الممارسة العلمية للتحليل النفسي العصبي.

مُجدَّدًا ضِدَّ التَّحجُّرِ الفِكْرِيِّ

حتى نكون منصفين، فإن لعلماء الأعصاب أسبابًا قوية للتوجُّسِ من دراسة الحياة الداخلية. فتقديم بيانات عن التجارب الباطنية محفوف بالعديد من الأخطاء المحتملة. فالناس كما هو معروف غير قادرين على تعريف مشاعرهم وأحاسيسهم بدقة، وكلامهم (عن ذلك) مُبهمٌ. فحينما يقول شخص إنه يشعر بإحساس جيد، فهل هو نفس الأمر أيضًا بالنسبة لشخص آخر والذي يشعر كذلك بإحساس جيد؟

قبل انتشار تقنيات التصوير العصبي، بأواخر التسعينيات كانت هناك القليل من العلامات الموضوعية عن الأحداث العقلية. (حتى اليوم، قابلية علماء الأعصاب لربط أفكار ومشاعر الناس الخاصة، بإشارات أدمغتهم، لا تزال ضئيلة).

غير أن بعض الاعتراضات ليست سوى اندفاعات رجعية. العديد من علماء الدماغ يعتقدون بأن الإدراك والسلوك هما فقط القابلان للدراسة. واستُبعدت المشاعر باعتبارها مخلفات تطورية ــ ردود فعل بدائية تداخلت مع وظائف أكثر أهمية مثل الحساب التخطيط والفهم.

لم يكن سولمز هو الوحيد الذي ساءل هذا التوجه الفكري.

أنطونيو داماسيو طبيب عصبي وأستاذ علم الأعصاب بجامعة جنوب كاليفورنيا. بدأ بالتفكير بجدية حول المشاعر، بعد لقائه بمريضٍ يدعى إليوت. داماسيو سبق له أن شاهد العديد من المرضى الغريبين خلال دراساته عن كيفية تأثير الإصابة الدماغية في اللغة والذاكرة، لكن لم يحدث أن التقى بأحد يصعب فهمه وتشخيصه. فبعد عملية جراحية ناجحة لعلاج ورم بالدماغ، بدا على إثرها أن إليوت أستعيد بشكل كامل، غير أنه بدأ بأخذ قرارات مُروّعة أدت لتخريب حياته. صار مهووسًا بقرارات تافهة أدت لإهماله لمشكلات مهمة ليجد نفسه مطرودًا من العمل. بدد أمواله على مخططات مالية سخيفة، وفَقَدَ مدخراته.

إليوت تفوّق على كل شخصية واختبار معرفي. ذكرياته وثقافته وخطابه، تأرجح كل ذلك بين العادي والممتاز. بالأخير، حط داماسيو بالكشف على الأمر: الورم دمَّرَ مناطق بالفصوص الجبهية لإيليوت وهي المسؤولة عن معالجة العواطف. فطالما أنه لم يعد قادرًا على إدراك مشاعره، لم يعد بإمكانه اتخاذ قرارات ملائمة. داماسيو سيكتشف أناسًا آخرين لديهم أضرار بنفس تلك المنطقة من الدماغ، يعانون نفس المشكلة. الكشوفات والتجارب التي تبعت ذلك، أدت بداماسيو لاستنتاج أن المشاعر ليست تطفُّلاتٍ عبثيةً تقتحم العقل، وإنما متأصلة بجوهر التفكير العقلاني.

بنفس الوقت، خلال التسعينيات، عالم المخ والأعصاب جاك بانسكيب يقوم باكتناه مشاعر الحيوانات.رأى بانسكيب أن بالإمكان اكتناه المشاعر الإنسانية والمشكلات العاطفية عبر دراسة الثدييات الأخرى ــ كيف ولّدت أدمغتهم مشاعر أقرب للغضب، للحزن والفرح الذي يصفه البشر؟ ما الخلايا والدوائر العصبية المعنية؟ استخدام الحيوانات كنماذج (لدراسة) البشر هو أساس الطب الحيوي، ولكن، لوقت طويل تم تهميش وإلغاء أعمال بانسكيب لأنها تُركِّزُ على الخبرات الداخلية للحيوانات، حقل من المفترض أنه متعذر البلوغ من جانب العلم. «معظم الناس لا يفهمون حقًا الحدود التي وضعها العلماء لأنفسهم» يقول بانسكيب. «أحد الحدود الكبرى هو فكرة دراسة سلوك الحيوانات، ولكن لا نستطيع دراسة عقولهم لأنه متعلّق ذاتي».

واظب بانسكيب، ليقوم بتحديد سبعة مشاعر أساسية مشتركة بين الأجناس انطلاقًا من الدجاج، للخنازير الغينية، للبشر، ورسم عمل الشبكات العصبية الخاصة بكل صنف. استكشف التعلّق (العاطفي)، الرابطة المكثفة بين الأم وصغيرها، عبر مراقبة ما أقدم عليه جرو بعد إبعاده عن أمه. بدأ يئنُّ، يبكي، ويسعى للبحث عنها، بعدها اكتفى فتوقف، وانطوى في قنوط. مزيج من الكآبة المثيرة للذعر وخمول، لاحظ أنه موقف شبيهٌ نوعًا ما بمشاعر شخصٍ تحت قبضة الاكتئاب، وبدأ باستنباط كيف أن الأنظمة العصبية الخاصة

بالتعلّق (العاطفي) قد تكون أيضًا المسبب للاضطراب الاكتئابي. لم يكن فرويديًّا، لكنه اقترب من فكرة مماثلة عن الاكتئاب ترتكز على الخوف من الانفصال والخسارة.

باحثون آخرون، مثل إليزابيث فيلبس وجو لودو (بلحيته وقيثارته) قاموا بوصف الطريقة التي من خلالها تؤثر المشاعر في التعلُّم والذاكرة، مركزين حول كيفية قيام الدماغ بكشف وتحليل وتذكر التهديدات.

معًا، تؤكد هذه المشاريع البحثية بأن دراسة المشاعر ليست فقط أمرًا ممكنًا بمنهج الطب العصبي، بل أساسية. كعلماء، مثل داماسيو وبانسكيب، قاموا بنشر كتب مؤثرة بالتسعينيات، سولمز اكتشف أنه لم يكن وَحْدَهُ.

صُمُودُ أفْكارِ فرُويد

أكثر من عقد بعد ذلك، دراسة المشاعر صارت ميدانًا رئيسيًا بعلوم الدماغ. حتى بالنسبة لدراسة الوعي، الذي لطالما اعتُبر استحالة تخمينية، يجتذب اليوم منهج الباحثين. لكن باعتبارهم إحيائيين يهيمون بهذه الحقول، هم بحاجة لفرضيات توجيهية للاختبار والصقل، مفاهيم مدروسة جيدًا وأسئلة تُمهِّدُ الطريق نحو تجارب مفيدة. يمكنهم أن يقوموا بما هو أسوأ من النظر لفرويد بغرض الاستلهام، يشير إريك كاندل من جامعة كولومبيا، الحائز على جائزة نوبل، والخبير فيما يتعلق بالتعلم والذاكرة وأحد أكثر الأصوات احترامًا بمجال علم الأعصاب «المُحرِج، كما يبدو، أن فرويد يظل رؤية متماسكة وثقافية مُرضية للعقل»، يقول كاندل: «لا يمكنك أن تحظى بعلم ذي معنى للدماغ، دون علم ذي معنى للعقل».

بالرغم من أن عدة تفاصيل بنظريات فرويد خاطئة، فإن بعضًا من أبرز أفكاره قد أثبتت صِحتها. واحدة من ملاحظاته الرائدة تتعلق بنطاق وتأثير الفكر اللا واعي. وضع فرويد اللا وعي بعوش المملكة العقلية، لكن المُشكل الشخصي أدى بعلماء الدماغ لتجاهل المعطى الوفير للمعالجة النفسية اللا واعية، لما يُقارِبُ القرن. كيف بإمكانهم قياس أنشطةِ عقليةِ لموضوعات غير مُدْرَكَةٍ حتى من قبلهم أنفسهم؟

فلم يتم، إلى غاية 1980، حتى بدأ الباحثون بفكّ هذا اللغز.

بدارسة صارت الآن أسطورة، طلب العالم المعرفي بنجامين ليطلب من المشاركين أن يقوموا بالضغط على زر عندما يرغبون بذلك، في حين يقوم هو برصد النشاط الكهربائي في أدمغتهم. فاستطاع أن يلاحظ أن مناطق التحكم بالحركة في الدماغ تنشط بربع من الثانية قبل أن يقول المشاركون إنهم قرروا الضغط على الزر. بعض الأجزاء اللا واعية بالدماغ قررت مسبقًا، قبل أن يقوم العقل الواعي بذلك.

ومنذ ذلك الحين، أثبتت آلاف الدراسات على أن الناس يقومون بمعالجة المعلومات، خصوصًا البيانات الاجتماعية مثل تصرفات الآخرين، بطريقة لا واعية. إننا كذلك نقوم باتخاذ عدة قرارات دون تدخل كبير من جانب الفكر الواعي (الموضوعي). إن لم يكن بالشيء الهيّن، ففرويد استخف بقوة ورفعة الفكر اللا وعي، يقول عالم النفس الاجتماعي تيموتي ويلسن من جامعة فرجينيا. طبيعة الفكر اللا واعي المنبثق من التجارب المعاصرة يختلف اختلافًا جذريًا عما سبق وافترضه فرويد قبل سنوات: يبدو أقرب لوسيلة سريعة وفعالة لمعالجة البيانات الضخمة وأبعد قليلًا عن النطاق الخاص بالأوهام والبواعث. لكن فرويد كان مُصيبًا بوضعه بمركز العلم النفساني.

فرضية فرويدية أخرى تكتشف بالعلم الراهن أن عقولنا بطبيعتها متعارضة، ساحة الصراع بين البواعث الغريزية وميكانيزمات الكبت.

وبدلًا من المفردات الفرويدية الخاصة بالهو والأنا، يستخدم الإحيائيون أوصافًا تشريحيةً عصبيةً: الدوافع المتعلقة باللذة والمكافأة تنشأ انطلاقًا من دوائر بالجهاز الحوفي، مركز الانفعال، يتوازى بشكل متداعٍ مع الهو. لحاء الفص الجبهي الخاص بالتحكم الذاتي والسيطرة على الاستجابات الاعتيادية، يعتبر نوعًا ما شكلًا من الأنا. المسألة لا تتعلق باختلاف اصطلاحي، الهو بالنسبة لفرويد منطقة فوضوية الهمت الهمجي، سلوك لا مُتوقَّع، في حين أن الجهاز الحوفي منظم بإحكام، أصل ردود الفعل الانفعالية الثابتة. غير أن الصورة الكبرى – العقل في حرب مع نفسه – هي بالأساس نفسها (بالجهتين)، يقول برادلي بيترسون، رئيس قسم طب الأطفال النفسي والمشرف على أبحاث التصوير بالرنين المغناطيسي بجامعة كولومبيا. والذي تلقى تكوينًا باعتباره مُحللًا نفسيًا:

عمل فرويد على تنقيح أفكاره عدة مرات، وحتى بالنسبة لأبرز رؤاه الاستبصارية فقد توقع الكشوفات العلمية بشكل تقريبي فقط. زيادة على أنه كان، ببساطة، مخطئًا. على سبيل المثال، فيما يتعلق بنظرياته حول تفسير الحياة الذهنية للرضيع. «الرجل يقترف باستمرار ليس فقط أخطاء، بل أخطاء غريبة»، يقول ماثيو إرديليي، عالم نفس معرفي بكلية بروكلين والمهتم بالتحليل النفسي لفترة مطولة: «غير أنه أيضا قدم بأفكار لن يقوم أحد آخر إطلاقا بالقدوم بمثلها». أفكار تستحق المزيد من الاهتمام.

وتكمن الصعوبة في تصنيف تلك التي تستحق، واختبارها بطريقة تقدم أجوبة ملموسة.

تُبيّن هيلين مايبرغ عالمة أعصاب من مدرسة الطب بجامعة إيموري وباحثة حول مرض الاكتئاب، بأن عملها حول الاكتئاب يسعى لوصف نفس المفاهيم الشاملة التي استدعاها فرويد، بما يتضمنه ذلك من روابط بين الدوائر العصبية والأمزجة المضطربة. «التحليل يمتلك نسيجًا غنيًّا من الكلمات والمفاهيم» مقارنة بطب الأعصاب، تقول مايبرغ: «الأمور التي تطرق لها فرويد هي الأمور التي يفكر فيها كل شخص واعٍ بسطح هذا الكوكب» لقد طوّرت علاج الاكتئاب العميق بالتحفيز العميق للدماغ، تقنية يتم فيها تحفيز مواقع معينة بدقة في الدماغ بالكهرباء، لكنها تعترف بأنها لا تزال عاجزة عن تفسير: لِمَ تتحسن حالة بعض المرضى بصورة ملحوظة بينما آخرون لا؟ ربما من منظور تحليلي نفسي سيتم تفسير هذا اللغز، أي الديناميكيات السيكولوجية الخفية التي تسمح لبعض المرضى بالانفلات من الاكتئاب، مقابل مرضى آخرين يقبعون محاصرين في اليؤس على الرغم من (إحداث) التغيير في أدمغتهم.

لربما يلقي التحليل النفسي العصبي الضوء على لغز آخر: أصول مرض فقدان الشهية. عالمة الأعصاب سامانثا بروكس من مركز الطب الحيوي بأوبسالا في السويد، تدرس كيف يسيطر فقدان

الشهية على رغبات المرضى بالأكل. تقوم بفحص الدوائر العصبية التي تربط الأنظمة المثبطة في القص الجبهي بأنظمة المكافأة العميقة في الدماغ. غير أنها تقول: إن هذه المقاربة الاختزالية لا تفسر بشكل كامل كيف باستطاعة شخص ما يعاني فقدانَ الشهية أن يقوم بتثبيط الإحساسات الجسدية للمتعة والألم. يشير التحليل النفسي إلى ان الجواب يكمن في التفاعل بين الإحساسات الجسدية والانفعالية، وبين القلق. افكار بروكس تُختبَر حاليا عبر صور الدماغ.

مقاربة التحليل النفسي العصبي، تدمج التقارير الشخصية بالقياسات الموضوعية، حتى يتم التمكُّن من اكتناه لُغز عظيم بطب الأعصاب المعاصر: الغرض من الاكتشاف الحديث لـ"وضع الشبكة الافتراضي". هذه الشبكة من المناطق العصبية التي تظل نشطة خلال تجوال العقل، أحلام اليقظة، الترابطات الحرة وحالات الاستقراء الحالمة الأخرى. تبدو أساسية، تحجز ما يقارب ال 80% من طاقة الدماغ المستهلكة. لكن ما سبب وجودها؟ ولأجل ماذا؟ تظل مفتوحة على الأسئلة.

من منظور تحليلي نفسي، هذه الصورة لدماغ منشغل بأنشطة استقرائية، تبدو مألوفة بشكل لافت، تقول ماجي زيلنر، التي تشترك مع سولمز وأيضا المديرة التنفيذية لمؤسسة التحليل النفسي العصبي ومقرها نيويورك. بالنموذج التحليلي، عقولنا تنقِّح باستمرار بناءً على

أفكار حول أنفسنا وتجاربنا. تحت سطح الوعي تُمتص عقولنا عبر اجترار مستمر للذكريات والأحاسيس، والأحلام، والمخاوف، والأوهام الخاصة بالمستقبل. مولِّدةً كل المادة الخام التي يصب فيها "العلاج بالكلام". تقترح زيلنر أن نشاط وضع الشبكة الافتراضي ربما هو المقابل البيولوجي لهذا التشغيل المتواصل للمونولوج الداخلي، أي أنها الظاهرة العصبية التي تقبع خلف هذه الحالة العقلية. بالغالب يتعلق الأمر بمجرد حدس حتى هذه النقطة، تقول: غير أن (هذا الحدس) بإمكانه أن يفتح الطريق نحو منظور جديد لهذا اللُّغز العصبي.

حَرَكَةٌ مُتَنامِيَة

يقضي سولمز معظم وقته بجنوب إفريقيا، حيث يشغل كرسي علم النفس العصبي بجامعة كيب تاون، يدرس الأحلام، الإصابات الدماغية ومواضيع ذات صلة، ويعالج الإصابات الدماغية للمرضى. يسافر بانتظام لنيويورك، حيث معهد أرنولد فايفر للتحليل النفسي العصبي الذي يحتضن محاضرات عامة لتقديم أعمال البيولوجيا العصبية: بالسكيب حول بحثه بخصوص المشاعر، اجتهادات مايبرغ فيما يخص علاج الاكتئاب. سولمز أنهى للتوّ إعادة ترجمة كل الطبعات ال24 لكتابات فرويد النفسية، مشروع بدأ سنة 1990، ليُنشر أواخر سنة 2014.

التحليل النفسي العصبي الآن حركة ثقافية متنامية في حَدِّ ذاتها. لديها منظمتان دوليتان لتقديم مِنَحٍ صغيرة للباحثين الشباب وتستضيف سنويًا مؤتمرًا عالميًا. في العالم الموسَّع لعلم الأعصاب، فرويد لم يعد متجاهلًا أو مُتَفَقًا على تجنبه، بل كثيرًا ما ينظر له على أساس نه مؤلِّف لفرضيات مهمة تثير تساؤلات ونقاشات جديرة بالاهتمام.

ربما ابتعاث فرويد له كذلك تأثير أكثر عُمْقًا. ففِكر التحليل النفسي فِكر إنساني بجوهره. يُكرِّم التجربة الفريدة للفرد الإنساني —

شيء يتم تجاهله بالمنهج الطبي المعاصر في مقاربته للعقل. سولمز وبانسكيب، حاليا بجامعة واشنطن، يلقيان باللوم على الجودة الرديئة للعلاجات النفسية عمومًا الخاصة بالعقلية الاختزالية. يقولان: إن مقاربة مستلهمة من التحليل النفسي العصبي توفر مجالًا أفضل.

الاكتئاب مثال ممتاز. النظرية السائدة بمبحث الطب الحيوي آلية: الاكتئاب مجرد مشكلة بيوكيميائية، بشكل أساسي لا يختلف عن السكري أو داء المفاصل. تؤدي هذه المقاربة لإنتاج دزينة أدوية تعبث بالسيروتونين ومواد كيمائية أخرى بالدماغ ــ عقاقير كهذه، بالنسبة لأكثر من نصف عدد المرضى، غير ذات فعالية. «الصيدلة ألقت بملايين ملايين الدولارات هباء ولم تأتِ قط بمفهوم جديد»، يقول بانسكيب.

كمعظم الأطباء النفسيين، هو وسولمز يريان بأن منطلق البداية يتم من الواقع الوجودي للاكتئاب ــ العطب الروحي، اليأس والضياع. سؤالهما الجوهري: لما الاكتئاب شعور سيئ؟ بناءً على عقود من أبحاث بانسكيب، الفرضية هي أن بؤس الاكتئاب، يرتبط باختلالات ميكانيزميات الدماغ التي تكفل الارتباط العاطفي. بالنسبة للثدييات، حيث تولد صغارها عاجزة، الارتباط يُعتَبر قضية حياة أو موت: الصغير الفضولي الذي يتجول بعيدًا لن يستمر طويلًا بالعيش اعتمادًا على نفسه. عندما يتم كل شيء على ما يرام، الألم الرهيب الناتج عن

لانفصال هو تحذير، ضمان الصغير أن بكاءه سيجعله قريبًا (من أمه). عندما تنفصل الأم عن الصغير، يقنط ويتصرف بعدوانية لا مبالية، بالنهاية ينهار ممتنعا عن المحاولة، ليضيع أكثر.

عندما تكون هذه الأنظمة الحساسة عُرضةً للعطب بشكل مستمرــ ربما المبالغة برد الفعل نحو الخسارة ليست مهددة للحياة، تكون النتيجة حُزنًا مُخيفًا وانهيارًا دون اكتراث. لدى الإنسان، نسمي ذلك اكتئابًا. «ألم الفقدان واليأس عملية بيولوجية متطورة لسبب» يقول سولمز: «تشعر بإحساس سيء لدى الانفصال عمَّن يهتمون بك لأنها الطريقة الطبيعية التي تجعلك تدرك أنك متحّد. ولن تفهم الاكتئاب ما دمتَ لا تدرك ذلك». هذه المقاربة تركز على الدوائر العصبية المعنية بالارتباط، والحساسية للمركبات الأفيونية وأخرى ذات صلة. جرو حزين من الممكن التخفيف عنه عن طريق المورفين وعقاقير مماثلة، التي تبدّل الكيمياء العصبية بالدوائر المرتبطة بالكرب والخسارة. بناء على هذه الفكرة، مورفين مشتق غير مسبب للإدمان يسمى بوبرينورفين (يوصَف غالبًا لعلاج الألم أو إدمان الأفيون) يتم حاليًا اختباره بالشخصيات الانتحارية مع نتائج أولية جيدة. «إن الأمر لا يتعلق بتدميرنا للاكتئاب، إنما نحن على حافة عصر جديد كليًّا»، يقول سولمز.

برؤية كل من سولمز وبانسكيب المستقبلية، فإن الاكتئاب قد يمزج عدة علاجات مختلفة ــ أحيانًا من خلال التحليل النفسي ــ مع عقاقير مصممة بعناية لاستهداف الدوائر العصبية المتعلقة باستجابة عاطفية مدرَكة جيدًا.

شئنا أم أبينا، فرويد مُنح حقه بالعلم الحديث، هذا المنظور الإنساني قد يكون الإسهام الأكبر والمستمر بالنسبة لحركة التحليل النفسي العصبي. ذلك ما ألهم سولمز خلال محاولاته فهم الوقائع الذهنية لمرضاه العصبيين. «أكثر ما يثير الاهتمام بخصوص الدماغ؛ مقارنة بالأعضاء الأخرى، أنه ليس مجرد مادة، إنه موضوع»، يقول سولمز. «حتى أُدرِك حقيقة أن له تأثيرا كبيرا، ذلك حقًا كان حافزي الواعي في حياتي العلمية». يجب أن ندرك حقيقة أن الدماغ هو كذلك عقل، إنه يفكر، يعايش، يعاني. بكلمة مختصرة: إنه نحن"(3).

---

1 ـ The Second Coming of Sigmund Freud, by Kat McGowan; Discover magazine

ترجمة للمقالة كاملة متوفرة بموقع أنفاس "عودة فرويد ــ ترجمة. حمودة إسماعيلي".

2 ـ The Second Coming of Sigmund Freud

3 ـ The Second Coming of Sigmund Freud

10 ـ جِيلُ دولوز

نَظَرِيَّةُ الفِكْرِ مِثْلُ الرَّسْمِ: إِنَّها بحاجَةٍ لِتَلْكَ الثَّوْرَةِ الَّتِي
أَخَذَتِ الفَنَّ مِنَ التَّمْثِيلَ إِلَى التَّجْرِيدَ.
هَذَا هُوَ الهَدَفُ مِنْ نِظَرِيَّةٍ لِلْفِكْرِ دُونَ صُورَةٍ.

¤ جيل دولوز

لا يتعلّق هذا الفصل بسرد عن جيل دولوز، الفيلسوف الفرنسي، إنما إشارة للنظر الثاقب الذي يمكن أن يتمتّع به المفكر. المفاهيم والتأويلات، العلاقات والبنيات والأنظمة، التصرفات والعادات، الكلمات والصياغات، كل ما يتعلق بعالمنا الرمزي وتكويننا المعرفي: يُحفّز عقل المفكر للتساؤل والتنقيب.. يجب إظهار الأشياء الظاهرة، كما بمنظور موريس ميرلو بونتي (فهي ليست دائمًا ظاهرة كما نعتقد).

لقد جاء دولوز لقلب المفاهيم التي يرتكز عليها علم النفس لأكثر من قرن ـــ وهي السادية (المُشتقة من الكاتب دي ساد) والمازوخية (المشتقة من الكاتب مازوخ). انطلاقًا من قراءة أعمق لجذور هذين المفهومين.

كتب دولوز: "ألا ينبغي بالأحرى التعامُلَ مع مازوخ وساد ليس كونهما حالتين خاصتين من بين حالات أخرى وحسب، بل ويعلماننا

أيضًا، كل بدوره، شيئًا أساسيًا، الأول منهما عن المازوخية، والثاني عن السادية؟ هناك سبب آخر من اللا عدالة يضاف إلى مصير مازوخ. ذلك لأنه يُستخدم، في العلاج السريري، كمكمل لـ ساد. أليس هذا هو السبب الذي يجعل أولئك المهتمين بساد لا يولون مازوخ أية أهمية؟ إذ غالبًا ما يُسارع المرء نحو الاعتقاد بأنه يكفيه عكس الإشارات، قلب الدوافع، ومن ثم التفكير بوحدة المتناقضات الكبيرة، لكي يحصل على مازوخ من ساد. لقد كانت تركيبة ساد/مازوخ، وحدة ساد/مازوخ ذات ضررٍ بالغٍ بالنسبة لمازوخ. فهو لم يعانِ نسيانًا غير عادلٍ وحسب، بل وأيضًا من تكميلية غير عادلة، من وحدة ديالكتيكية غير عادلة.

لإذا ما قرأنا مازوخ، فسوف نشعر بقوة بأن عالمه لا علاقة له بعالم ساد. كذلك لا يتعلّق الأمر بالتقنيات وحدها، بل بالمشكلات والهموم، وبالمشاريع المختلفة تمامًا. كما لا ينبغي التحجج بذريعة أن التحليل النفسي قد أظهر – ومنذ زمن بعيد – إمكانية وواقعية تحولات السادية/المازوخية. فالمطروح على محك الشكّ هنا هو هذه الوحدة التي يُطلق عليها اسم السادية/المازوخية. يميّز الطب ما بين مبحث الأمراض والعوارض: العوارض هي إشارات خاصة تتعلق بمرض بعينه، فيما تشكل مبحث الأمراض وحدات لقاء أو تشابك، تحيل إلى خطوط سببية مختلفة تمامًا، وإلى قرائن متنوعة. فنحن لا نشك بأن وحدة السادية/المازوخية هي نفسها أمارةٌ مرضية، ينبغي فكُّها على خطين لا يمكن اختزالهما. لقد قيل لنا الكثير إن الحالة ذاتها هي

سادية ومازوخية معًا؛ وانتهى بنا الأمر إلى تصديق ذلك. لهذا يجب البدء من جديد ثانية، والبدء من جديد بقراءة ساد ومازوخ. فما دام الحكم السريري مليئًا بالأحكام المُسبقة، لا بد من البدء من جديد من نقطة قائمة خارج السريري، من النقطة الأدبية التي تمت فيها تسمية تلك الانحرافات. إذ ليس من قبيل المصادفة أن يُستخدم هنا اسمان لكاتبين، كما يمكننا القول إن النقد (بالمعنى الأدبي) والسريري (بالمعنى الطبي) مطالبان بالدخول في علاقات جديدة، يتعلم منهما الأول من الثاني، وبالعكس. يتعلق مبحث الأعراض بالفن دائمًا. كما أن الخصوصية السريرية للسادية والمازوخية لا تنفصل عن القيم الأدبية الخاصة بكل من ساد ومازوخ. وبدلًا من ديالكتيك يوحد بسرعة ما بين المتعارضات، ينبغي الميل إلى نقد وعلاج سريري بمقدورهما استخلاص الميكانيزمات المختلفة فعلًا، وكذلك الأصالات الفنية...

ألا يمكن أن تكون هناك العديد من الالتباسات والتساهلات الرثة في أساس الإيمان بتلك الوحدة؟ ذلك لأن لقاء السادية بالمازوخية يبدو واضحًا ظاهريًّا. فميل الأولى لإنزال العذاب بآخر، وميل الثانية لإنزاله بنفسها، يظهر وكأنه يُحدّد نوعًا من التكميلية بينهما، وقد يكون ثمة ما يؤسف عليه من عدم لقائهما. كما يمكننا تخيل قصة هزلية تروي لقاء شخص ساديٍّ بآخر مازوخيٍّ. يقول فيها هذا الأخير: «لتؤلمني»، فيرد عليه السادي: «كلا». من بين كل القصص الهزلية، هذه هي أكثرها غباءً: ليس لأنها مستحيلة وحسب، بل وأيضًا لأنها تكتظ بالادعاء الأحمق بالنسبة لتطور عالم الانحرافات.

ومع ذلك، تبقى مستحيلة. إذ لن يتحمل الساديُّ أبدًا ضحية مازوخية كأحد ضحايا الرهبان، في رواية «جوستين» يقول بدقة: «يريدون أن يتأكدوا بأن جرائمهم تكلف دموعًا، وأن يروا ثانية فتاة ترجع إليهم من تلقاء نفسها». كذلك لا يتحمل المازوخي، هو أيضًا، أي جَلَّادٍ ساديٍّ حقيقي. لا شك أنه يحتاج لطبيعة خاصة عند المرأة/الجلادة؛ غير أنه يتوجب عليه تكوين تلك «الطبيعة»، تربيتها، وإقناعها وفقًا لمشروعه الأكثر سريةً، الذي سيفشل كليةً مع السادي"(1).

إن دولوز يقصد من خلال تحليله، أن السادي والمازوخي لا يجمعهما إطار واحد، كما درج رسمهما في علم النفس والنقد والأدب. إن السادية والمازوخية هنا مشهدان وليسا عرَضين سريرين:

1 ــ مشهد يجمع ساديًا بساديٍّ مغاير يسايره.

2 ــ مشهد يجمع مازوخيًا بمازوخيٍّ مغاير يشاركه.

إنهما لوحتان، لا يمكن دمج شخصياتها كما ألفنا بتاريخ السرد النفسي والتحليلي والروائي.

تُلغى السادية بإدخال شخصية مازوخية بالإطار، وتُلغى المازوخية بإدخال شخصية سادية بنطاقها. إن الساديَّ لا يستدعي مازوخيًا، وهذا الأخير (بدوره) يستدعي ساديًا (كما درج بالمقاربات هاتين الظاهرتين): إنما يستدعي الساديُّ ساديًا بصيغة معينة، والمازوخيُّ

يستدعي مازوخيًا حسب صيغة الاستدعاء ـــ وإلا لا تكتمل العملية. ما يدل على أن السادية والمازوخية مشهدان طقوسيان محددان ومؤطران. أما السادية/المازوخية (حسب المعطى النفسي والأدبي) فهما ظاهرتان بحاجة لاصطلاحات مغايرة.

يذهب دولوز إلى أننا: "في الحقيقة، نحن نترع دائمًا نحو التغافل عن ذلك الوضوح: إذا كانت المرأة–الجلادة تعجز في المازوخية من أن تكون سادية، فذلك لأنها جزءٌ منضوٍ في الموقف المازوخي، عنصرٌ ناجزٌ من الفنتازم المازوخي. ليس لأن لديها ربما نفس ميول ضحيتها، ولكن لأنها تمتلك هذه «السادية» التي لا نجدها عند السادي، والتي هي نوع من الزوج (**double**) أو الانعكاس (**réflexion**) للمازوخية. كذلك يمكننا قول الشيء ذاته بالنسبة للسادية: إذا كانت الضحية لا تستطيع أن تكون مازوخية، فلا ينتج ذلك عن رفض الداعر للملذات التي يحس بها، ولكن لأن ضحية السادية تنتمي بكاملها إلى السادية، وتشكل جزءًا أساسيًا من الموقف، كما أنها تظهر بغرابة وكأنها رديف الجلاد السادي (الشاهد على ذلك، عند ساد، الكتابان العظيمان اللذان يعكس أحدهما الآخر، وحيث نلتقي بالمرأة الفاسقة والمرأة الفاضلة، «جوستين» و«جولييت»، الشقيقتان). فإذا كان المرء يخلط ما بين السادية والمازوخية، فذلك لأنه يشرعُ باستخراج وحدتين، السادية المفصولة عن عالمها، والمازوخية المُبعدة هي الأخرى عن عالمها، وبالتالي يظن أن هذين النوعين من التجريد يتوافقان مع بعضهما البعض، ما داما قد حُرما من محيطيهما

(Umwelt)، وأفرغا من جسديهما ودمائهما.

لا ننوي القول: إن الضحية السادية هي ذاتها سادية، ولا نريد التأكيد أن "الجلادة" المازوخية هي مازوخية بنفسها. بل يجب علينا رفض هذه المبادلة، الذي ظل كرافت أبنغ متمسكًا بها: إمّا أن تكون «الجلادة» سادية حقيقية، أو أنها تتظاهر بذلك. نقول إن المرأة-الجلادة تنتمي كليةً إلى المازوخية، وأنها ليست شخصية مازوخية، لكنها عنصر من هذه المازوخية. فحينما نميز في انحراف ما بين الذات (الشخصية)، والعنصر (الجوهر)، يمكننا فهم كيف أن شخص ما يفر من مصيره الذاتي، لكنه لا يفر منه إلا جزئيًا، وذلك باضطلاعه بدور العنصر ضمن الموقف الذي يميل إليه. تفر المرأة-الجلادة من مازوخيتها الخاصة عبر صيرورتها هي بالذات داعية «للمازوخية» (masochisante) في ذلك الموقف. يكمن الخطأ في الاعتقاد بأنها سادية، أو حتى أنها تلعب دور السادية. كذلك ثمة خطأ آخر يكمن في الاعتقاد بأن شخصية سادية تلتقي، عن طريق الحظ، بشخصية مازوخية. فيما لا تحتاج أية شخصية، ضمن انحراف بعينه، إلا لذلك «العنصر» الذي ينتمي لذات الانحراف، وليس لشخص آخر ينتمي لانحراف ثانٍ. ففي كل مرة نقوم بها بمراقبة نمط المرأة-الجلادة ضمن إطار المازوخية، نلاحظ أنها ليست في الواقع لا سادية حقيقية، ولا سادية مزيفة، لكنها شيءٌ مغاير تمامًا، ينتمي جوهريًا للمازوخية من دون تحقيقها لذاتها، التي تجسد عنصر «القيام

بالتعذيب» ضمن أفق مازوخي برمته. من هنا بحث البطل المازوخي، ومازوخ نفسه، عن «طبيعة» يصعب العثور عليها لامرأة بعينها: يحتاج المازوخي–الذات (**masochiste-sujet**) إلى «جوهر» (**essence**) معين من المازوخية المُنجزة في طبيعة امرأة تتنصل من مازوخيتها الذاتية؛ ولا يحتاج أبدًا لأية ذات سادية"(2).

1: جيل دولوز، تقديم لساشر مازوخ، ترجمة: حسين عجة، موقع الروالي.

2: المصدر السابق.

خِتامٌ بـ: جون شتاينبيك



كُلُّ النَّاسِ عُقَلاءُ، فقط جِيرانُهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ!

¤ جون شتاينبيك

ختام بـــجون شتاينبيك، وختامه مسك كما يُقال. فبمقابل التصرفات السيئة للمبدعين (من زاوية ما)، قد نجد هناك تصرفاتٍ جميلةٍ تطغى بتأثيرها وإلهامها؛ نظرًا لإنسانيتها. موقف شتاينبيك هنا يمثّل هذه الحالة.

عندما يعترف لك ابنك الفتيّ، بأنه ضائع بحب فتاة، بأنه يستشعر الحب، ويطلب مساعدتك أو دعمك بما أنك والده وأقرب الناس إليه خبرة بأمور الحياة. طبعًا في التزامك نحو الحب، لن تخون رؤيتك – أنت نفسك – لماهية الحب، والتصرف نحوه انطلاقًا من ذاتك بنفس الموقف، وليس كناصح أو موجّه. حديثك عن الحب يختطفك للعب الدور كل مرة ــ حتى عند النصح ــ للعب دور العاشق أنت نفسك، تتجدد عاشقًا كلما تطرقت لأمور الحب.

ذلك ما حصل ما جون شتاينبيك، الروائي الأمريكي (1902ــ 1968) الحاصل على جائزة نوبل للآداب سنة 1962، ساعيا لتقديم جوابٍ شافٍ لما يختلج بأعماق طفله ــ فمهما كبر الابن يظل

صغيرًا بعين أمه ووالده ـــ غير أن شتاينبيك هنا يرفع ابنه لمقام الصديق والند، طالما أنهما يتحدثان حول شعور يتجاوز معادلة الفوارق العمرية. أنت لا تحب في سنٍّ معينة، أنت تحب طالما تحيا. كلمات شتاينبيك لابنه توم ـــ تقول عنها الكاتبة ماريا بوبوفا: "يجب أن تظل محفورة بقلب وعقل كل إنسان، متنفسةً وجوده".

ـــ الرسالة:

«نيويورك، العاشر من نوفمبر (تشرين الثاني)، **1958**.

عزيزي توم،

لقد تلقينا رسالتك هذا الصباح، وسأجيب انطلاقًا من وجهة نظري للأمر، وكذلك إلين (زوجة شتاينبيك) من وجهة نظرها.

أولًا ـ إذا وقعت في الحب ـ فهذا أمر جيّد، فذلك يتعلق بأجمل ما يمكن أن يحدث لأي شخص. فلا تجعل أحدًا يستصغر ذلك أو يستخفُّ به.

ثانيًا: هناك أشكال متعددة من الحب. هناك الأناني، بمعناه الطمعي والاستعلائي، كل ما يستخدم الحب للاهتمام الذاتي. وهذا هو الشكل القبيح والمعاق منه. الآخر هو تدفق كل ما هو جميل فيك ـ من لطف وتقدير واحترام ـ ليس فقط احترامًا اجتماعيًا كشكل من

الأخلاق، إنما التقدير الأعظم الذي يأخذ بعين الاعتبار شخصًا كآخر كشخص فريد من نوعه، وذا قيمة. النوع الأول من الحب يمكنه أن يجعلك مريضًا وتافهًا وضعيفًا، أما الآخر فإنه يبعث في نفسك القوة والشجاعة واللطف وحتى الحكمة، التي لا تعتقد أنك تتمتع بها.

تقول بأن هذا ليس حبًّا صبيانيًّا، إن كان شعورك عميقًا، فهو بالتأكيد ليس حبًّا صبيانيًّا.

لا أعتقد بأنك تسألني حول شعورك، فأنت الأدرى بذلك أكثر من أي شخص. أنت تسألني حول ما يجب فعله بخصوص ذلك، وهو ما سأحدثك عنه.

إنه شيء مجيد، كن فخورًا به وممتنًّا لأجله.

موضوع الحب هو الأفضل والأجمل، جرّب التعايش معه.

إذا أحببتَ شخصًا ـ لا ضرر في قول ذلك ـ فقط تذكّر أن بعض الناس خجولون جدًّا، وعلى القول أحيانا أن يأخذ هذا الخجل بعين الاعتبار.

للفتيات طريقتهن لمعرفة أو الشعور بشعورك، لكنهن بالعادة يرغبن في سماعه أيضًا.

يحدث أحيانًا ألا يلقى شعورك نفس التجاوب لسبب أو لآخر ـ لكن هذا لا يجعل شعورك أقل قيمة وجودة.

بالأخير، أعرفُ شعورك لأنني استشعرتُه، وأنا فخور لأنك تستشعره.

سنكون فخورين بمقابلة سوزان (الفتاة التي يحبها الصبي)، وسيكون مُرحَبًا بها. غير أن إلين ستقوم بكل هذه الترتيبات لأنه ميدانها وستكون فخورة جدًا هي كذلك. لديها معرفة بالحب هي أيضًا، ولربما باستطاعتها مساعدتك أكثر مني.

لا تقلق من الخسارة، إن كان الأمر صائبًا سيحدث ـ المهم هو ألا تتسرع. لاشيء جيّد يذهب بعيدًا.

مع حبي،

والدك».

***

كان توم ساعتها يبلغ من العمر **14** سنة، وهو في سن الــ **68** وبعدما صار كاتبًا هو كذلك، كان لا يزال يتذكر رسالة أبيه. فعندما سألته الكاتبة ألكسندرا جيف خلال حوار معه: لِمَ لا نبدأ بالرسالة. هل تعرف أيّها أقصد؟

يجيب توم: "نعم.. والدي كان جدّيا، أعني أنك تسألينه سؤالًا جديًّا، ستأتيك إجابة جدّية. لكن لا تسأليه إن كنت حقًّا لا ترغبين

بمعرفة الإجابة. واحدة من الأشياء التي كانت مشهودة له هي محادثته للأطفال كما يُحادث بالغين. الأطفال كانوا يحبّون والدي، لأنه لم يحدث أن تحدّث إليهم باستعلاء. كانوا يسألونه سؤالًا، فيجيب بجدّية، كان يعاملهم باعتبارهم أُناسًا جادّين... كلّ رسائل والدي لي كانت رائعة. إنها رسائل طويلة وتفصيلية للغاية"(1).

وعن تلك الفتاة بمخيم العطلة، يتذكّر "كانت تحب الموسيقى باخ كما أفعل، ودفوراك أيضًا. كانت أذواقنا متشابهةً في الموسيقى والشعر.منذ صغري كنتُ مُنجذبًا للنساء الذكيات.ذلك ضعفي"(2). لكن سرعان ما رحلت تلك الفتاة بعد العطلة ولم يرها بعد ذلك.

---

1 – An Interview With Thom Steinbeck By Alexandra Jaffe, May 15 2012; The Hairpin.

2 – An Interview With Thom Steinbeck

كي لا نَتَوَارَثَ الكُرْهَ

نكبر في بيئةٍ تَميل للتَّحيّزات، تَحيّزات ولّدهَا صراعات ونزاعات قديمة، مؤطَّرين داخل جماعات. وليس بالضرورة أن يتم ذلك عن اختيار، بل مُتلقّفات كالحليب المتدفق من لدي الأم. نرضع تعصّبنا قبل رؤيتنا لماهية العالم. أعراض النزاعات القديمة تنساب كالجينات بين الأجيال، تتشرب أجسادنا تعصّب الأجداد كحكمة الانحياز لجماعتنا، الأمر الذي يوازيه بثُّ الكُره نحو جماعة أخرى. هويتنا الإطنابية تتغذى على ما نكرهه.

وكما أن الإنسان لا يختار أن يولَدَ أبيضَ أو أسودَ، فإنه كذلك لا يختار أن يولد في بيئة إسلامية، مسيحية أو يهودية... إلخ. لكنه يختار أن يكره ويعتدي بناءً على ذلك؛ انطلاقًا من برمجة ثقافية ـــ منتهية الصلاحية ـــ لا يتم التساؤل حول نفعيتها وتاريخ استهلاكها!

ألا تتحدد هوية المسلم بكرهه لمن ليس مسلمًا أكثر من تحديدها بأركان الإسلام؟ مسلم لا يبالي بالإثنيات فارغ روحيًا في نظر التراث! ألا يتحدد المسيحي بكرهه المتخفي للمسلم! ألا تتعلق المشكلات الأساسية لسياسة الشرق، وحتى النزعات الغربية في الجوهر بهذا التشبث بهويات النزاع، الهويات الناتجة عن جماعتي تكْرَهُ جماعتك لأنها أهانتها قبل الميلاد! ألا يُعرّف الأمازيغي اليوم عن ذاته

بما هو ضد العربي؟ إن الأمر يتعلّقُ بتلاقُحٍ ثقافيٍّ كالكيان المتشكّل من جينات مشتركة، ليس هناك ثقافة خالصة – خاصة بالراهن – كأساطير الدم الخالص والشريف وما سواها من أساطير قروسطية.

إن البشر أعداء طبيعيين لبعضهم البعض، كما يشير بذلك سارتر، غير أن العداوة – كما في عالم الحيوان – تتأسس على المكافأة. تكره الحيوانات من نفس النوع بعضها بعضًا؛ لأن كلًّا منها يسعى لاحتكار الأفضلية المادية. الحيوانات محكومة بيئيًّا وتعجز عن تغيير تاريخها. أما الإنسان فلا؟ وكما يُلمّح الفيزيائي كاكو فإن هذه النزعات قد تقف حاجزًا أمام تطور التاريخ الإنساني نحو مرحلة أكثر إنسانية. فترَف الاختيار هو رِهانُ الإنسان، برؤية شتاينبيك.

اكْرَهْ؛ فالكره شعور طبيعي لسلوكياتٍ تمسُّ ذاتك وتتعلق برؤيتك الخاصة للأمور، اكْرَهْ بوعيك وبشكلٍ منطقي، اكْرَهْ بحساباتك، وليس بحسابات بني العبّاس أو أحزاب اليمين.

كُرْهُ أجدادك ناتج عن كرههم لحياتهم بذلك الموقف، لتلك الجماعة بزمن مرهون بتلك الحقبة، لربما لجهلهم أو لقلة حيلتهم أو حتى لإشباع أنانيتهم وتغذية أساطيرهم (كالقبائل البدائية): لماذا لا ترتدي جلد دُبٍّ أو غزال؟ لأنه لباس لا يتعلق بزمنك أو مفاهيمك، لكنك ترتدي مشاعر مرتدي جلد الدب والغزال عن وعيٍ مُتواطئٍ، وعي غاب بين ثنايا أردية الأسلاف.

مُلحق ب :

الدِّماغُ البَشَريُّ لا يَعْرِفُ رَجُلًا أو امْرَأةً

ل: جيسيكا هامزيلو

لربما طالعت أن امتلاكك عَقْلَ رجلٍ، يكسبك مالًا أكثر، أو أن عقل المرأة أفضل فيما يتعلق بتعدد المهام. غير أنه لا وجود لشيء اسمه عقل رجل أو عقل امرأة، وذلك انطلاقًا من أول بحث عن الفُروق بين الجنسين بمجمل الدماغ: فالظاهر أن معظم الناس يمتلكون خليطًا من السِّمات الأنثوية والذكورية بالدماغ. كما أن البحث يدعم فكرة أن الجندر غير مُنْشَطِرٍ. وأن التصنيفات الجندرية (التقسيم الجنسي-اجتماعي) في عدة حالات لا معنى لها.

تقول أناليس كيزر من جامعة بيرن بسويسرا: "هذا الدليل على أن الدماغ البشري لا يمكن تقسيمه إلى صنفين متمايزين، جديد، ومقنع، وجذري نوعًا ما".

فكرة أن الناس لديها إما عقل رجل، وإما عقل امرأة، فكرة قديمة، كما تقول دافنا جويل من جامعة تل أبيب بإسرائيل. "ترى النظرية أنه ما إن يتشكّلُ للجنين خصيتان، حتى تفرزا التستيرون

الذي يجعل الدماغ مذكرًا"، تضيف: "إن كان هذا صحيحًا، سيكون هناك نوعان من الدماغ".

لاختبار النظرية، قامت جويل وزملاؤها بملاحظة الفروق في المسح الدماغي لـ1400 شخص تتراوح أعمارهم بين 13 و85 سنة. نظر الفريق للاختلافات في حجم مناطق الدماغ فضلًا عن التواصل فيما بينها. إجمالًا، حدد الفريق 29 منطقة تبدو بشكل عام أنها تختلف بالحجم عند تحديد الهوية الذكورية والأنثوية. وتشمل قرن آمون، المتعلق بالذاكرة، والتلفيف الجبهي السفلي، والذي يُعتقد أنه يلعب دورًا في العزوف عن المخاطرة.

عندما نظر الفريق لمسح كل دماغ على حدة، وجدوا بالرغم من ذلك أن قلة قليلة من الناس تمتلك كل السمات الدماغية التي يمكن أن تمتلكها، بناءً على هويتها الجنسية. فمن خلال النموذج، بين 0 و8 في المئة من الناس هي التي تمتلك دماغًا رُجوليًا بالكامل، أو أنثويًا بالكامل، اعتمادًا على التعريف. فـ"معظم الناس بالوسط" كما تقول جويل.

ذلك يعني بالمتوسط، غير كثير من الناس، أن الفروق بين الجنسين في الدماغ موجودة، غير أن دماغًا فرديًا هو على الأرجح: فردي، مع خليط من المميزات. "فلا وجود لنوعين من الدماغ"، كما تقول جويل.

الإِدْرَاكُ المَكانِيُّ

بالرغم من أن بحث الفريق اقتصر فقط على بنية الدماغ، وليس وظيفته، فإن النتائج كشفت بأننا جميعًا نكذب فيما يتعلق بسلسلة من الرُّؤى التقليدية للخصائص الأنثوية والذكورية. "هذه الدراسة تساعد كثيرًا بتوفيرها الدعم البيولوجي لشيءٍ عرفناه قبل زمن — بأن الجندر غير ثنائي"، كما تقول ميغ جون باركر، عالمة نفسية بالجامعة البريطانية المفتوحة.

ستظلُّ الأبحاث مُفاجأةً للعديد من الناس، بمن فيهم العلماء، كما يقول بروس ماكوين، من جامعة روكفلر بنيويورك. "لقد بدأنا بإدراك تعقيد ما فهمناه باعتباره ذكوريًا وأنثويًا، وهذه الدراسة هي أول خطوة بهذا الاتجاه"، ويضيف: "أعتقد بأنها ستغيّر عقلية الناس".

ماركوس هوسمان، من جامعة دورهام بالمملكة المتحدة، لم يتفاجأ بالنتائج. فقد درس الفروق بين الجنسين فيما يخص الوعي، إذا ما كان الرجل، كما هو شائع اعتقاديًا، بأن إدراكه المكاني أفضل من المرأة.

يقول هوسمان: "من خلال كل أنواع المهارات المكانية، وجدنا أن قلة قليلة جدًا من هذه المهارات، حساسة للفرق الجنسي.. قمنا كذلك بتحديد المشكلات المكانية حيث تتفوق النساء على الرجال، فكرة الأبيض والأسود فيما يتعلق بدماغ الرجل والمرأة، واضحة بكل بساطة".

بالرغم من استمرار التصورات النمطية، فالفتيات لسن أسوأ من الفتيان في العلوم والرياضيات.

"الناس متشبثون بفكرة كونك رجلًا أو امرأة يتيح تنبؤًا عاليًا بمختلف الاستعدادات والاختيارات الوظيفية"، كما تقول مارغريت مكارثي، التي درست الفروق الدماغية للجنسين، بالمدرسة الطبية لجامعة ماريلاند، "هذه الدراسة تحارب الفكرة القائلة بأن هذه النتائج بُنيَت على الفروق البيولوجية، كمقابل للتوقُّعات الثقافية". تقول جويل إن الأنظمة الجسدية الأخرى غالبًا ما تُصنَّف بشكل مغلوط باعتبارها مذكَّرة أو مؤنثة.

ألكسندرا كوتزكي ويلر، رئيسة وحدة طب الجندر بالجامعة الطبية في فيينا، توافق على أن الأمور ليست بهذه البساطة. مضيفة: "هناك فروق بين الرجال والنساء عندما تنظر لمجموعات كبيرة، وهذا مُفيدٌ للتشخيص والعلاج. لكن هناك اختلافات أكثر ضمن الجندر، إننا دائمًا بحاجة للنظر للثقافة، والبيئة، والتعليم، والدور الاجتماعي للشخص".

إذا قُدِّم لطبيب أعصاب دماغ دون جسد أو معلومة إضافية، فمن المُرجَّح أن يظل قادرًا على التخمين إن كان الدماغ يعود لامرأة أو لرجل. أدمغة الرجال أكبر، على سبيل المثال، ومن الظاهر أنهم يمتلكون عددًا أكبر من المميزات "الذكورية" عمومًا. لكن الأبحاث الجديدة كشفت أنه من المستحيل التَّنبُّؤ بمزيج المميزات الدماغية اعتمادًا على جنس الشخص وحده.

***

مُسْتَقْبَلٌ دُونَ جِندر

جويل ترى مستقبلًا حيث لا يتم تصنيف الأفراد بشكل رتيب اعتمادًا على الجندر وحده. تقول: "نحن نفرق الفتيات عن الفتيان، الرجال عن النساء"، كما تضيف: "هذا خطأ، ليس فقط من الجانب السياسي، بل من الجانب العلمي ــ كل شخص مختلف".

غير أن علماء آخرين لا يعتقدون بأن هذا سيكون ممكنًا ــ بما أن الأنواع تُنتج جنسيًا، فإن تعريف الشخص بيولوجيًا من خلاله جنسه، سيكون أمرًا ذا أهمية دائمًا بالنسبة لنا.

رغم ذلك، تقول باركر، يمكن أن تُستخدم أبحاث جويل لمساعدة العديد من الناس لفهم الطبيعة اللاثنائية للجندر. بالنهاية، بعض الناس غير مُحددين باعتبارهم ذكرًا أو أنثى، وآخرون يشعرون بأن جندرهم يتغير مع الزمن. "إنه لعار أنّ تجارب الناس وحدها غير كافية لنا، لندرك كمجتمع أن لا ثنائية الجندر، أمر شرعي".

Scans prove there's no such thing as a 'male' or 'female' brain By Jessica Hamzelou

عن موقع: **New Scientist**

تضيف باركر: "يجب أن نبدأ التفكير بحذر أكبر بحجم الوزن الذي نمنحه للجندر، كسمة مميزة للكائن البشري، ونتوقف عن التساؤل حوله بخصوص حالات ببساطة لا تمت بصلة".

تَعْرِيفاتٌ

- نايجل رودجرز: (بالإنجليزية: **Nigel Rodgers**) :

هو مؤرّخ ومؤلف لأحد عشر كتابًا، من ضمنها السيرة الذاتية لهتلر وتشرشل، إضافة إلى كتاب "فهم الوجودية" والذي ألّفه مع ميل ثومبثون. وكتابه الأحدث هو: "الغندور: طاووس أم لغز؟" **The Dandy: Peacock or enigma**.

***

- ميل ثومبثون: (بالإنجليزية : **Mel Thompson**) :

مؤلّف لأكثر من عشرين كتابًا عن الفلسفة والأديان ومن ضمنها العديد من المنشورات الشعبية (سلسلة تعليم الذات). تتضمّن المنشورات الأحدث كتاب (أنا) من سلسلة (فن العيش)، الذي يستكشف قضايا الهوية الشخصية وكتاب "فهم الوجودية" بالاشتراك مع نايجل رودجرز، وكتاب (القراءة السهلة للفيلسوف) وهي مجموعة من خمسة وثلاثين سؤالًا تستطيع التفكير بها بينما تعبث أصابع قدميك برمال الشاطئ.

***

رمسيس عوض:

كاتب ومترجم، يعمل أستاذًا للأدب الإنكليزي في كلية الألسن جامعة عين شمس، كما أنه ناقد ومؤرخ للأدب، قدم للمكتبة العربية 80 كتابًا يتناول بعضها الأدب العربي المعاصر مثل أدب توفيق الحكيم، وبعضها يتناول الحسّ الحضاري والوطني عند المشتغلين بالمسرح المصري، إلى جانب ترجماته إلى العربية لفلاسفة ومفكري وأدباء الغرب أمثال: برتراند راسل، وجوليان هكسلي، ود.هـ لورانس.

ومن كتبه باللغة العربية: برتراند راسل الإنسان، جورج أورويل (حياته وأدبه)، الأدب الروسي قبل الثورة البلشفية وما بعدها، دوستيوفسكي في المنفى، الهولوكست بين الإنكار والتأييد، العرب ومحرقة اليهود، دراسات في الأدبين الإنكليزي والأميركي، الهرطقة في الغرب، توفيق الحكيم الذي لا نعرفه، الأدب الروسي والبريسترويكا، صورة اليهودي في الأدب الإنكليزي، موسوعة الرقابة والأعمال المصادرة في العالم، هل أنت شيوعي يا مستر شابلن؟

ومن ترجماته: محاكم التفتيش في فرنسا، ألبرت أينشتاين «سيرة حياته»، محاكمات أدبية وفكرية وفنية، وول سينكا، ترجمة رواية «ظلام في الظهيرة» لآرثر كيسلر.

- جون جاك روسو:

(28 يونيو 1712، جنيف - 2 يوليو 1778، إيرمينونفيل) Jean-Jacques Rousseau هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر العقل، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة.

***

- كولن ويلسن:

(26 يونيو 1931-5 ديسمبر 2013) Colin Henry Wilson كاتب إنجليزي ولد في ليستر في إنجلترا.

ولد كولن لعائلة فقيرة من الطبقة العاملة. تأخَّرَ في دخول المدرسة، وتركها مُبكرًا في سن السادسة عشرة ليساعد والده، عمل في وظائف مختلفة، ساعده بعضها على القراءة في وقت الفراغ، بسبب قراءاته المتنوعة والكثيرة، نشر مؤلفه الأول (اللا منتمي) 1956 وهو في سن الخامسة والعشرين. وتناول فيه عزلة المبدعين (من شعراء وفلاسفة) عن مجتمعهم وعن أقرانهم وتساؤلاتهم الدائمة. كان الكتاب ناجحًا

جدًا، وحقق أصداء نقدية قوية، وجعل من الشاب الفقير كولن نجمًا في دوائر لندن الثقافية، وصارت أخباره الخاصة تتصدر أعمدة النميمة الصحفية. لا يزال ينظر للكتاب على أنه ساهم بشكل أساسي في نشر الفلسفة الوجودية على نطاق واسع في بريطانيا.

من أعماله: رجل بلا ظل (رواية). أصول الدافع الجنسي. الإنسان وقواه الخفية. الاستحواذ. الجنس والشباب الذكي. الحالم الشعر والصوفية. المعقول واللامعقول في الأدب الحديث...

***

- آرثر شوبنهاور:

Arthur Schopenhauer (1788 - 1860 م)

فيلسوف ألماني، معروف بفلسفته التشاؤمية، وقد كتب كتاب "العالم فكرة وإرادة" الذي سطر فيه فلسفته. درس الفلسفة بجامعة جوتنجن بين عامي 1809 و1811، ثم انتقل إلى جامعة برلين (1811 - 1813م) حيث ختم دراسته بحصوله على الدكتوراه عن رسالته التي دونها تحت عنوان: (الأصول الربعة لمبدأ السبب الكافي) وهي رسالة في العقل وصلته بالعالم الخارجي. وقد كان تلميذًا لكانط. مات أبوه منتحرًا وهو في السابعة عشرة (1805م) عاش بعد ذلك في خلاف مع أمه، وقد انتهى الخلاف بينهما إلى قطيعة كاملة حتى ماتت ولم يرّها.

قام بالتدريس بجامعة برلين (1820 – 1831م). ويعتبر واحدًا من أبرز الفلاسفة المؤثرين.

***

– فريدريك نيتشه:

(بالألمانية: FriedrichNietzsche) (15 أكتوبر 1844 – 25 أغسطس 1900) كان فيلسوفًا ألمانيًا، ناقدًا ثقافيًا، شاعرًا وباحثًا في اللاتينية واليونانية، كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث.

كان من أبرز الممهّدين لعلم النفس وكان عالم لغويات متميزًا. كتب نصوصًا وكتبًا نقدية حول الدين والأخلاقية والنفعية والفلسفة المعاصرة المادية منها والمثالية الألمانية. وكتب عن الرومانسية الألمانية والحداثة أيضًا. عمومًا بلغة ألمانية بارعة. يُعدّ من بين الفلاسفة الأكثر شيوعًا وتداولًا بين القراء.

كثيرًا ما تُفهم أعماله خطأً على أنها حامل أساسي لأفكار الرومانسية الفلسفية والعدمية ومعاداة السامية وحتى النازية، لكنه يرفض هذه المقولات بشدة ويقول بأنه ضد هذه الاتجاهات كلها. يُعدّ نيتشه مُلْهِمًا للمدارس الوجودية وما بعد الحداثة في مجال الفلسفة والأدب في أغلب الأحيان. روّجَ لأفكار توهم كثيرون أنها مع التيار

اللاعقلاني والعدمية، استخدمت بعض آرائه فيما بعد من قبل أيديولوجيي الفاشية، وتبنّت النازية أفكاره.

رفض نيتشه الأفلاطونية والمسيحية الميتافيزيقيا بشكل عامٍ ودعا إلى تبني قيمٍ جديدة بعيدًا عن الكانتية والهيغيلية والفكر الديني والنهلستية.

***

- لو أندرياس سالومي:

Lou Andreas-Salomé (اسمها الأصلي لويزه فون سالومي – ولدت عام 1861 في سانت بطرسبورغ – وماتت في 1937 في جوتنجن) كانت كاتبة كثيرة الترْحال، وقاصَّةً وكاتبة مقالات ومُحللةً نفسيةً من عائلة ذات أصول روسية وألمانية.

اشتهرت من خلال علاقاتها مع أبرز كتاب العصر آنذاك ومن بينهم نيتشه وريلكه وفرويد. وتظل حتى اليوم موضوعًا للكثير من التفسيرات.

تميزت بصفاتٍ من بينها إشعاعها الشخصي وثقافتها وحيويتها وصداقتها مع مشاهير عصرها من الكتاب وطريقة حياتها غير التقليدية. نجدها كثيرًا حين نتصفح سير العديد من مشاهير الكتاب. لذلك اهتم التاريخ الأدبي بها وبحياتها وبصلاتها معها أكثر من

اهتمامه بأعمالها الأدبية. فلها روايات وقصص ومقالات ونقد مسرحي وكتابات حول إبسن ونيتشه وريلكه وفرويد. كما كتبت في التحليل النفسي والفلسفة. كما حفظ لها التاريخ رسائلها مع العديد من المشاهير.

من أعمالها الأدبية: الشخصيات النسائية عند إبسن – روت – يسوع اليهودي – ما من روح غريبة...

***

– مارتن هايدغر:

(بالألمانية: Martin Heidegger)، فيلسوف ألماني (26 سبتمبر 1889 – 26 مايو 1976)، وُلِدَ في جنوب ألمانيا، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل مؤسس الظاهريات، ثم أصبح أستاذًا فيها عام 1928. وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل. ومن أبرز مؤلفاته: الوجود والزمان (1927)؛ دروب مُوصَدة (1950)؛ ما الذي يُسَمَّى فكرًا (1954)؛ المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا (1961)؛ نداء الحقيقة؛ في ماهية الحرية الإنسانية (1982)؛ نيتشه (1983).

تميز هايدغر بتأثيره الكبير في المدارس الفلسفية في القرن العشرين

ومن أهمّها الوجودية، التأويليات، فلسفة النقض أو التفكيكية، ما بعد الحداثة. ومن أهم إنجازاته أنه أعاد توجيه الفلسفة الغربية بعيدًا عن الأسئلة الميتافيزيقية واللاهوتية والأسئلة الإبستمولوجية، ليطرح عوضًا عنها أسئلةً نظرية الوجود (الأنطولوجيا)، وهي أسئلة تتركز أساسًا على معنى الكينونة (Dasein). ويتّهمُه كثير من الفلاسفة والمفكرين والمؤرخين بمعاداة السامية أو على الأقل يلومونه على انتمائه خلال فترة معينة للحزب النازي الألماني.

***

– هانز جورج غادامير:

(بالإنجليزية: Hans-Georg Gadamer) فيلسوف ألماني ولد في ماربورغ، 11 فبراير 1900. اشتُهرَ بعمله الشهير الحقيقة والمنهج، وأيضًا بتجديده في نظرية تفسيرية (الهرمنيوطيقا). وقد توفي في هايدلبرغ، 13 مارس 2002.

قام بالتدريس في ماربورغ خلال السنوات الأولى من الثلاثينيات (1930) من القرن العشرين. حل بعد ذلك محل كارل ياسبرز في هايدلبرغ عام 1949، وكان هذا هو المنصب الذي شغله حتى وفاته.

***

- ميشال فوكو:

وُلِدَ في 15 أكتوبر من عام 1926، وتوفي في 25 يونيو 1984. Michel Foucault فيلسوف فرنسي كان يحتلُّ كرسيًا في الكوليج دو فرانس، أطلق عليه اسم "تاريخ نظام الفكر". وقد كان لكتاباته أثر بالغ على المجال الثقافي، وتجاوز أثره ذلك حتى دخل ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية ومجالات مختلفة .للبحث العلمي.

عُرف فوكو بدراساته الناقدة والدقيقة لمجموعة من المؤسسات الاجتماعية، منها على وجه الخصوص: المصحات النفسية، المشافي، السجون، وكذلك أعماله فيما يخصُّ تاريخ الجنسانية. وقد لقيت دراساته وأعماله في مجال السلطة والعلاقة بينها وبين المعرفة، إضافة إلى أفكاره عن "الخطاب" وعلاقته بتاريخ الفكر الغربي، لقي كل ذلك صَدًى واسعًا في ساحات الفكر والنقاش.

من أعماله: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، الكلمات والأشياء، حفريات المعرفة، نظام الخطاب، المراقبة والمعاقبة، تاريخ الجنسانية في 3 أجزاء...

***

- جون بول سارتر:

(21 يونيو 1905 باريس – 15 أبريل 1980 باريس) Jean-Paul Sartre فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي، وكاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذًا. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. عُرِفَ سارتر واشْتُهِرَ لكونه كاتبًا غزير الإنتاج ولأعماله الأدبية وفلسفته المسماة بالوجودية، ويأتي في المقام الثاني التحاقه السياسي باليسار المتطرف. كان سارتر رفيقًا دائمًا للفيلسوفة والأديبة سيمون دي بوفوار التي أطلق عليها أعداؤها السياسيون "السارترية الكبيرة". برغم أن فلسفتهم قريبة فإنه لا يحب الخلط بينهما. لقد تأثر الكاتبان بعضهما ببعض.

أعمال سارتر الأدبية هي أعمال غنية بالموضوعات والنصوص الفلسفية بأحجام غير متساوية مثل الوجود والعدم (1943) والكتاب المختصر الوجودية مذهب إنساني (1945) أو نقد العقل الجدلي (1960) وأيضًا النصوص الأدبية في مجموعة القصص القصيرة مثل الحائط أو رواياته مثل الغثيان (1938) والثلاثية طرق الحرية (1945). كتب سارتر أيضًا في المسرح مثل الذباب (1943) والغرفة المغلقة (1944) والعاهرة الفاضلة (1946) والشيطان والله الصالح

(1951) ومساجين ألتونا (1959).

وشكَّلتْ هذه الأعمال جزءًا كبيرًا من إنتاجه الأدبي. في فترة متأخرة من عمره في عام 1964 تحديدًا، أصدر سارتر كتابًا يتناول السنوات الإحدى عشرة الأولى من عمره بعنوان: "الكلمات" بالإضافة إلى دراسة كبيرة على جوستاف فلوبير في كتاب بعنوان: "أحمق العائلة" (1971-1972). لقد أصدر أيضًا دراسات عن سير العديد من الكتاب مثل تينتوريتو ومالارميه وشارل بودلير وجان جينيه.

***

- جون جينيه:

(بالفرنسية: Jean Genet) شاعر وروائي وكاتب مسرحي فرنسي شهير، وُلدَ في 19 ديسمبر 1910 في باريس، وتُوفِّيَ بها في 15 أبريل 1986.

تميز جان جينيه في مؤلفاته بأسلوبٍ مميز وغني، حيث واجه في أعماله قضايا الإنسان أمام الشر والألم والشبقية من خلال شخصياته الخيالية التي تحمل تناقضاتٍ من خلال تصرفاتها وانفعالاته ومشاعرها داخل عوالم "جحيمية" يبدع خيال الكاتب في وصفها. كان آخر كتاب ألفه "سجين الحب"، وقد نُشِرَ بعد وفاته.

***

- توماس مان:

(بالألمانية: Thomas Mann) هو أديب ألماني ولد في 6 يونيو 1875 وتوفي في 6 أغسطس 1955 في زيورخ. حصل على جائزة نوبل في الأدب لسنة 1929. لمان العديد من الروايات الشهيرة، مثل "موت في البندقية"، والتي قام لوتشانو فيسكونتي سنة 1971 بتحويلها لفيلم حمل نفس الاسم.

***

- أندريه جيد:

(22 نوفمبر 1869 – 19 فبراير 1951) André Gide كاتب فرنسي، وُلِدَ في باريس لعائلة بورجوازية بروتستانتية، وتلقّى تربية قاسيةً ومتزمتة بسبب وفاة والده وهو صغير السن حيث أمه فنورمندية كانت متسلطة. كان أندريه مُعتلّ الصحة، وكان منذ صغره يشعر أنه مختلف عن الآخرين. لم تكن دراسته المدرسية منتظمة، فعاش طفولة مشوشة. وما إن بلغ المراهقة حتى استهوته اللقاءات الأدبية فأخذ يرتاد الصالونات الأدبية والأندية الشعرية. وفي العام 1891 نشر جيد دفاتر أندريه فالتر التي يحكي فيها عن نفسه بشخصية بطل القصة أندريه فالتر، حيث تكلم عن شعوره بالكآبة

وطموحاته المستقبلية وحبه لابنة عمه مادلين المكنى عنها بالرواية تحت اسم ابنة عم البطل أمانويل، تزوج ابنة عمه مادلين عام 1895، ترجم عدة كتب إنجليزية إلى اللغة الفرنسية ووضع دراسات نقدية جديدة في الأدب الفرنسي، وحصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من أكسفورد.

***

- مارسيل بروست:

(10 يوليو 1871 - 18 نوفمبر 1922) Marcel Proust روائي فرنسي عاش في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 في باريس، من أبرز أعماله سلسلة روايات البحث عن الزمن المفقود (بالفرنسية: ٥ la recherche du temps perdu) والتي تتألف من سبعة أجزاء نُشرت بين عامي 1913 و1927، وهي اليوم تعتبر من أشهر الأعمال الأدبية الفرنسية. تستعرض كتاباته تأثير الماضي على الحاضر. كان بروست ناقدًا ومترجماً واجتماعيًا أيضًا.

ولد بروست بالقرب من باريس في عام 1871 لعائلة غنية، ودرس القانون والأدب. ارتباطاته الاجتماعية جعلته يرتاد غرف الضيوف الفخمة لدى النبلاء. قام بروست بكتابة عدد من المقالات للصحف الباريسية. نشر أيضًا القصص مثل "المتع والأيام" (1896). عانى مرضَ الربو منذ طفولته، وأصبح مبتعدًا عن المجتمع مع حلول

العام 1897 بعدما ازدادت حالته الصحية سوءا. كما أثرت وفاة والدته في العام 1905 على جعله أكثر انعزالاً.

***

- جون دو لابروير:

(بالفرنسية:Jean de La Bruyère) أديب وكاتب فرنسي، وُلد في باريس في 16 أغسطس عام 1645. درس الحقوق في جامعة أورليان، لكنه لم يمارس المحاماة وانصرف إلى الوظائف الإدارية العُليا. خالط الملك لوي دي بوربون وأهله وتعرف على ميولهم وعيوبهم، بعد أن كان أمينًا عامًا. في عام 1688، نَشَرَ ترجمة لكتـاب الطبائـع للكاتب الإغريقي ثيوفراستوس. ثم أتبعه في العام ذاته بكتاب طبائع وعادات هذا القرن، وكان يعدُّ تعليقات على الكتاب اليوناني. وقد حقق هذا العمل نجاحًا كبيرًا مما دفع الكاتب إلى إثرائه وإدخال إضافات عليه بدءًا من الطبعة الرابعة عام 1689 حتى الطبعة التاسعة التي نشرها عام 1696.

***

- سيغموند فرويد:

(6 مايو، 1856 - 23 سبتمبر، 1939) **Sigmund Freud** طبيب نمساوي من أصل يهودي، اختصّ بدراسة الطب العصبي ومفكر حر. يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي. وهو طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث. اشتهر فرويد بنظريات العقل واللا وعي، وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي. كما اشتهر بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية، فضلا عن التقنيات العلاجية، بما في ذلك استخدام طريقة تكوين الجمعيات وحلقات العلاج النفسي، ونظريته من التحول في العلاقة العلاجية، وتفسير الأحلام كمصادر للنظرة الثاقبة عن رغبات اللا وعي.

***

ميشال أونفراي:

Michel Onfray مُفكر ومؤلّف فيلسوف فرنسي معاصر من مواليد 1 يناير 1959 في أورن، فرنسا. له حضور لافت في الإعلام إذ تتمّ استضافته باستمرار في التلفزات الفرنسيّة للحديث عن فلسفته أو آرائه في الشأن العام أو للتعريف بآخر إصداراته.

***

جيل دولوز: Gilles Deleuze فيلسوف وناقد أدبي وسينمائي فرنسي، وُلدَ في باريس في العام 1925 وتوفي في عام 1995.عاش أغلب حياته في باريس. له العديد من الكتب التي تتناول الفلسفة وعلم الاجتماع. اهتمَّ بوجه خاص بدراسة تاريخ الفلسفة وتأويل نماذج متعددة منه يعتبرها في غاية من الأهمية مثل فلسفات نيتشه وبرجسون وسبينوزا. وتمثل فلسفة جيل دولوز إلى جانب فلسفتي دريدا وفوكو تقليدا مستقلا في التفكير المعاصر يريد أن يقطع مع الهيجيلية والماركسية والبنيوية. ألّفَ العديد من الكتب ومنها "نيتشه والفلسفة" (1962) و"فلسفة كانط النقدية" (1963) و"البرغوسنية" (1966) و"الاختلاف والمعاودة" (1968) و"منطق المعنى" (1963)، وقد ألف مع فليكس غتاري كتاب "ماالفلسفة" (1991).

وله العديد من الدراسات حول الأدب والفن والسينما والتحليل النفسي.

في كتابه التكرار والاختلاف (1969) انتقد دولوز جميع الفلسفات التي سعت إلى إلغاء الاختلاف وكأنه شرٌّ عن طريق إخضاعه لمبدأ التوحيد والهوية الأعلى، ومن هذا المنظور ينتصر ضد أفلاطون للسفسطائيين لأنهم حملة الاختلاف.

ماركيز دي ساد:

(2 يونيو 1740 – 2 ديسمبر 1814) **marquis de Sade** كان أرستقراطيًّا ثوريًّا فرنسيًّا وروائيًّا. كانت رواياته فلسفية وسادية متحررة من القوانين القواعد الأخلاقية كافةً، تستكشف موضوعات وتخيلات بشرية دفينة مثيرة للجدل وأحيانًا للاستهجان في أعماق النفس البشرية من قبيل البهيمية، الاغتصاب...إلخ، كان من دعاة أن يكون المبدأ الأساسي هو السعي للمتعة الشخصية المطلقة من دون أي قيود تذكر سواء أخلاقية أو دينية أو قانونية.

***

ليوبولد ريتر فون زاخر مازوخ:

Leopold Ritter von Sacher-Masoch وُلِدَ في **27** يناير **1836** في ليمبرج – ومات في **9** مارس **1895** في ليندهايم قرب فرانكفورت على الماين. هو أديب نمساوي عاش في مدن عديدة منها جراتس وبراج وزالتسبورج وفيينا. كَتَبَ أيضًا تحت أسماء مستعارة هي شارلوته أراند وتسوي فون رودنباخ.

في عام **1886** نشرَ طبيب النفس والأعصاب ريشارد فون كرافت إيبنج كتابه الطب النفسي الجنسي **Psychopathia sexualis**، الذي جَمَعَ فيه عدة أنماط للسلوك تحت مصطلح المازوخية **Masochismus**. وقد اعترض زاخر مازوخ ومناصروه ضد هذه التسمية دون جدوى، فقد ظلت التسمية باقية حتى اليوم. غير أنه حديثًا حَلَّ محلَّها اسم **BDSM** في مجالات كثيرة بفضل أعمال **Gilles Deleuze**.

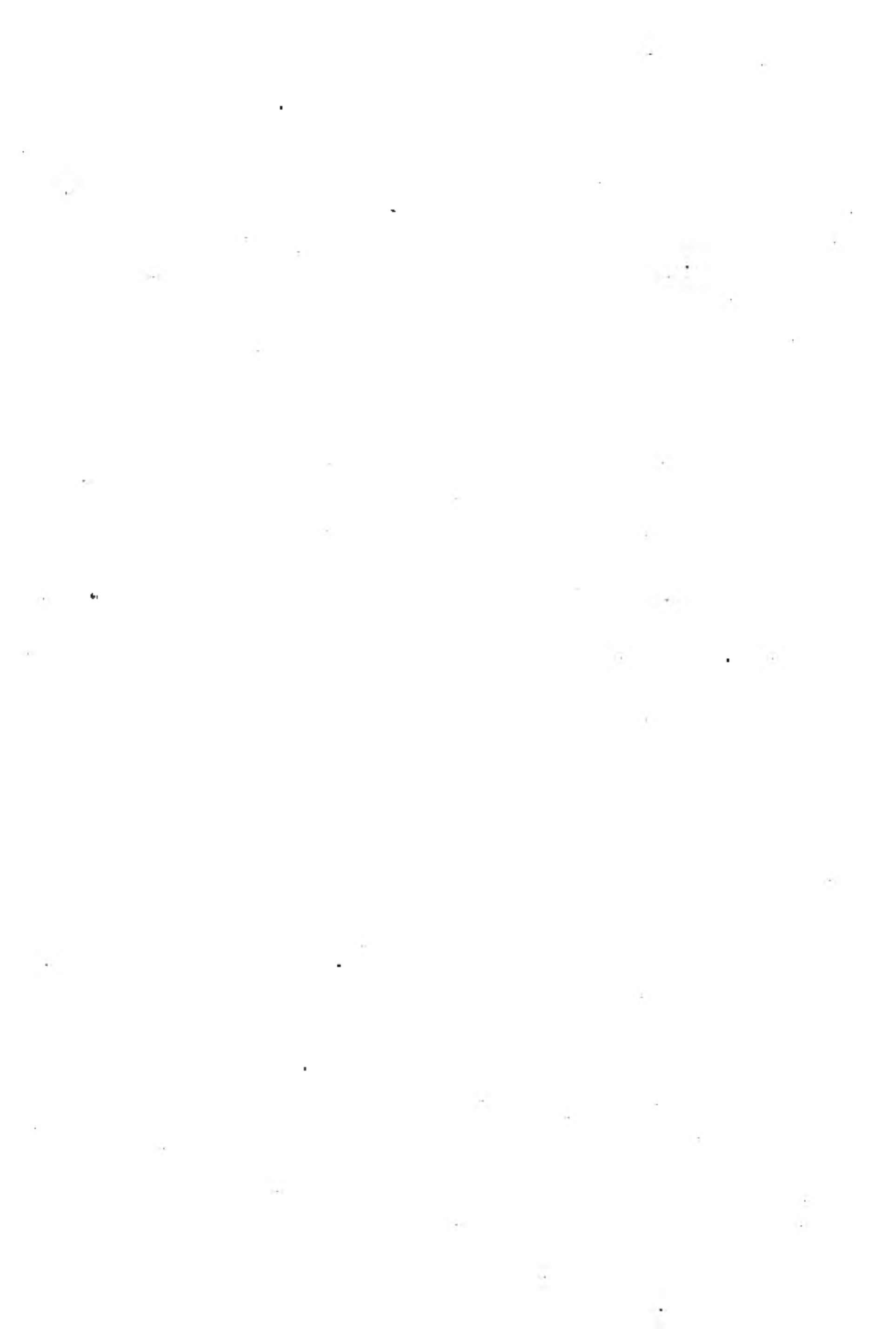
أما الرجل الذي اشتقت المازوكية من اسمه فقد تلوث هذا الاسم بالسمعة السيئة وذهب أدراج النسيان. لكن أُعيد إليه الاعتبار خلال حدثٍ ثقافيٍّ وهو "جراتس عاصمة ثقافية لعام **2003**" فتم تكريمه خلاله.

***

جون شتاينبيك:

(27 فبراير 1902 - 20 ديسمبر 1968) **John Steinbeck** كاتب أمريكي مُبدعٌ، من أشهر أدباء القرن العشرين. اشتُهر بقصصه حول الحرب العالمية الثانية. وُلِدَ في ساليناس، كاليفورنيا عام **1902**. درس في جامعة ستانفورد في سان فرانسيسكو (ولاية كاليفورنيا) ومن ثم تنقل من مهنة إلى أخرى. فاز بجائزة بولتيزر في **1940** عن رواية عناقيد الغضب. في عام **1962** فاز بجائزة نوبل للآداب عن رواياته وأعماله العديدة.

الفهـرس



كما في الأفلام والدراما التلفزيونية، تدسّ المخدرات لشخص معيّن لجرّه نحو المشكلات، والزجّ به في السجن، ورميه بتهمة تشوّه سمعته، وكلّها تخدم غرض إبعاده عن ساحة الخصم وإزاحته عن طريق مخططه. فدسّ الحشيش هنا كافٍ لتحويل شخص عاديّ ومحترم لمتهم سيّئ السّمعة، هكذا بسرعة وببساطة كما عوّدتنا شاشات السينما والتلفاز.

وحتى على مستوى الواقع، تتناقل هنا وهناك قصص عن قدرة الأجهزة الأمنية - بصيغتها الفاسدة - تحويل التّهم البسيطة للأفراد، لتهم كبيرة؛ انطلاقًا من ضمّ المخدرات وحبوب الهلوسة بملف المتهم المعنيّ حتى لو كان هذا الأخير لا يعرف شكلها، وذلك في إطار المتاجرة بالتّهم وتصفية الحسابات بين المتنافسين. ويستمرّ تسلسل هذه القصص حتى نصل إلى الشّابّ الذي يتّهم ظلمًا بحيازته الحشيش، انطلاقًا من وجوده بالزمان والمكان غير المناسبين خلال مداهمة بوليسية، ما يشير إلى أن أحدًا ما قد ألقى بالممنوعات بجيب الآخر أثناء الفرار، وكأنّ المتّهم المعنيّ كان ساعتها بحالة شطح صوفية خارج الحواس!

صدر للكاتب :

- العقد النفسية الأكثر انتشارا في العالم
- قاريء الأفكار
- خطورة الإنسان





دار اكتب للنشر والتوزيع
12 ش عبد الهادي الصحاف من ش الشيخ منصور المرج الجديدة - القاهرة - مصر
E-mail : daroktob1@yahoo.com
01111947957